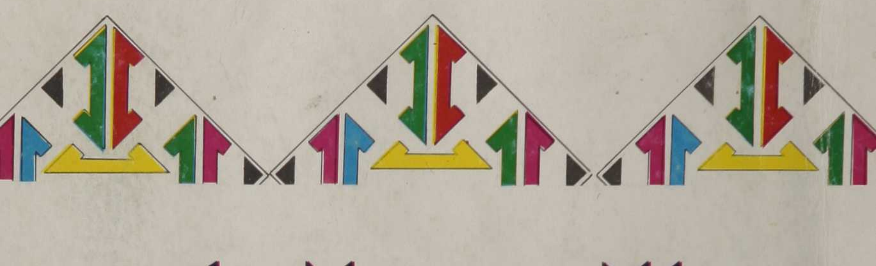
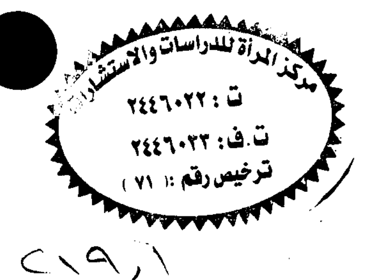


الإختلاط

فى الدين - فى التاريخ - فى علم الاجتماع

دكتور/ أحمد شوقى الفنجرى

الهيئة المصرية العامة للكتاب



دراسات اسلامية

الإختلاط في الدين وفي التاريخ - وفي علم الإجتماع

دكتور/ أحمد شوقي الفنجري



الهيئة المصرية العامة للكتاب

الاخراج الفنى

راجية حسين

الإختلاط في الدين وفي التاريخ - وفي علم الإجتماع

بسم الله الرحمن الرحيم

« يايها الناس .. انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

صدق الله العظيم

تمهيد لابد منه

١ ـ الكتابة أمانة ورسالة وهدفنا الاصلاح

٢ ـ كلمتى الى الجيل الجديد

٣ ـ تقاليدنا الموروثة من عصور التخلف

٤ ـ دين الاسلام برىء من التقاليد

٥ ـ التقاليد والمرأة

٦ ـ أدب الحوار الاسلامى

٧ ـ الاجتهاد مطلوب واختلاف الرأى رحمة

٨ ـ ملخص هذا الكتاب

مقدمة

تمهيد لابد منه

هذا الكتاب ليس كغيره من الكتب ، انه يعالج قضية شديدة الحساسية فى العالم العربى والاسلامى وتتضارب الآراء فيها بشدة ، ولذلك فانى استأذنك أيها القارىء الكريم فى أن أخذ بعضا من وقتك فى قراءة هذا التمهيد الذى لابد منه قبل أن تبدأ فى الخوض فى أبواب الكتاب وصلب الموضوع :

كان المفروض ان يصدر هذا الكتاب منذ اكثر من عشرين عاما عندما بدأت بالكتابة لأول مرة · وكنت اعتزم أن يكون موضوع الاختلاط أول كتاب اؤلفه وأول قضية حيوية أبحثها واتقدم فيها برأى · ولكنى وجدت نفسى دائما اؤجلها عاما بعد عام · وربما لاحظ القارىء الكريم ان فى كل كتاب صدر لى فى هذه السنوات الماضية كانت هناك اشارة عن كتاب قادم بعنوان (الاختلاط) · أما سبب هذا التأجيل المستمر ، فهو شعورى بخطر هذه القضية وبعنف المعركة وشدة الجدل الذى يصاحبها ويدور حولها ·· وكثيرا ما كنت احضر او اشارك فى المحاضرات والندوات المفتوحة التى تقيمها الجامعات أو الجمعيات الثقافية حول الاختلاط ـ وفى بعض الاحيان كانت قاعة المحاضرات تنقلب الى حلبة مصارعة

·· ويحل التشابك بالايدى مكان الحوار بالافكار ··
والمقارعة بالنعال مكان المقارعة بالحجة والمنطق ·

وفى وسط هذا العنف تضيع الحقيقة ·· ويتغلب أعلى الناس صوتا على اكثر الناس علما ومنطقا ·· وبسبب هذا العنف أيضا كان اكثر المفكرين وعلماء الدين يبتعدون عن تناول هذا الموضوع بالذات ·· ويتحاشون الخوض فيه امام الناس ·· بل لقد لاحظت أن أحد العلماء كان اذا جلس مع خاصة الناس أو مع أحد من المثقفين أيد الاختلاط فاذا كان بين عامة الناس او فى حديث مذاع عارضة ·· وذلك خوفا من عداوة الجماعات المتطرفة ·

وخلال هذه السنوات الطويلة من التأجيل والانتظار ·· كانت هذه القضية لاتبرح ذهنى أبدا ··· باحثا عن الرأى الامثل المبنى على التجربة والدراسة فى وقت واحد ·· والذى استطيع أن افيد به امتنا العربية والاسلامية ·

لقد عشت فى حياتى تجربتين متطرفتين وشديدتى التناقض :

الأولى فى الشرق وفى عالمنا العربى ·· والثانية فى الغرب عندما كنت فى أمريكا وأوروبا ·

كانت نشأتى الأولى فى بيئة اسلامية متطرفة ·· وفى مجتمع يعتبر أى نوع من الاختلاط البرىء خطيئة فى حق الدين وفتنة وانحرافا · فى هذا المجتمع تنطوى كل أسرة على نفسها خوفا من اختلاط النساء بالرجال ·· وتغلق على نفسها أبوابها فلاتعلم شيئا عن جيرانها ولاتزورهم ولايزورونها الا أن تكون زيارة الحريم للحريم والرجال للرجال · و بعض الشباب نشأ وتربى فلم يجلس مع فتاة فى حياته سوى أخته

أو أمه . وقد ينال أعلى الشهادات العلمية فى مهنته .. ولكنه لايعرف عن الجنس الآخر اكثر مما يعرفه أجهل رجل فى الحى عن انشطار الذره .

وفى نفس الوقت فقد سافرت الى مختلف بلاد العالم وعشت فى اوروبا وامريكا فترة من الزمن ... وعاشرت هذه الشعوب وتدارست بالتجربة أسلوب حياتهم .. وعرفت الكثير من فضائلهم ومثالبهم . ولم اكتف بهذه التجربة العملية .. بل كنت دائم المناقشة والحوار مع اصدقائى من المربين والمفكرين فى كندا وامريكا ومع غيرهم من مختلف طبقات الشعب ومختلف الثقافات.

بين المراجع والكتب :

والى جانب هذه التجربة العملية .. فقد كانت لى أيضا دراسات نظرية موسعة حول هذه القضية .. منها مايتناول الجانب الدينى . ومنهاما يتناول الجانب ،الاجتماعى والتاريخى . ومنها المعارض ومنها المؤيد ..

وبهذه الحصيلة الكبيرة من الدراسة العملية والنظرية .. وبعد هذا العمر الطويل من الترقب تكونت لدى القناعة والرأى الحاسم لاصدار هذا الكتاب .

ورغم أهمية قضية الاختلاط على مصير الأمة العربية .. ونهضتها الاجتماعية فانك لاتجد فى المكتبة العربية كتابا أو دراسة مستقلة بعنوان (الاختلاط) . على حد علمى . فهذهأول دراسة متكاملة لهذه القضية تتناولها من الناحية الدينية ، والاجتماعية . والتاريخية .

ولكن ذلك لا يمنع أن جميع الكتب والابحاث التى تتناول قضايا المرأة المسلمة لاتخلو من باب او فقرة عن

الاختلاط اما بالتصريح أو التلميح ··· وتتراوح هذه الآراء تحت عناوين وشعارات مختلفة · فمن ذلك : تحرير المرأة ـ الحجاب والسفور ـ حق العمل للمرأة ·

الكتابة رسالة وأمانة وهدفنا الاصلاح :

والكتاب ينقسمون الى ثلاثة أنواع : كاتب محترف وكاتب هاوى وكاتب مصلح ·· وأرجو ان اكون من النوع الثالث · ولعل الفارق بين الثلاثة واضح ومفهوم :ـ

فالمحترف : يكتب ليرضى الناس · ويختار الموضوع الذى يستهويهم ويحبون سماع المزيد عنه ·

والهاوى : يكتب ليرضى نفسه · ويختار الموضوع الذى يرضى ذوقه الشخصى ويعبر عن أحاسيسه ·

اما المصلح :ـ

فهو لا يكتب على هواه ، ولا على هوى الناس ·· ولكنه يختار القضية التى يحس بان هناك ثغره كبيرة فيها ·· ثغرة لو تركت لظلت الأمة تنزف منها ··· أو تتخلف بسببها ·· فهو يتتبع عورات المجتمع ·· ونقط الضعف فى نظامه ·· ثم يكشفها للناس بوضوح وصراحة ويقدم اليهم أفكاره فى الاصلاح وذلك عملا بقوله تعالى «ان اريد الا الاصلاح ما استطعت» (هود) ·

ومن هنا فان من قدر المصلحين أن كلامهم يكون ثقيلا على الناس ·· وكثيرا مايقابل الناس أفكارهم منذ الوهلة الأولى بمعارضة عنيفة ·· وكثير من المصلحين لم يعرف الناس قدرهم وصدق دعوتهم الا بعد مماتهم·· ويعلل لنا الفيلسوف الكبير لطفى السيد ذلك بأنه «بسبب الفزع الذى يصيب

المحافظين من الانتقال مما يألفون الى مالايعرفون ‥ شأنهم أمام كل جديد من الأفكار والآراء» ٠

فمن طبيعة البشر أنهم لايحبون تغيير نمط حياتهم الذى ألفوه ولو كان هذا التغيير الى الأفضل ‥٠ ومن طبيعة البشر أيضا انهم يكرهون من ينقدهم او يعظهم وان كانوا واثقين من صدق نواياه ومن هنا كان المصلحون ضحايا مبادئهم ورسالتهم ‥ وقد يصيبهم فى سبيلها الكثير من الأذى والاضطهاد ٠

ومع ذلك ‥ فلابد أن يكون فى كل أمة أناس مستعدون لدفع الثمن ، وبغير الضحايا من أصحاب الرأى الشجاع فى كل ميدان من ميادين الحياة ‥ لن تتقدم الأمم ٠

وأى أمة من الأمم يتقاعس المفكرون والمصلحون فيها أو يخافون من اعلان رأيهم فى الاصلاح طلبا للسلامة ‥ فقل على تلك الأمة العفاء ٠

جيل قديم وجيل جديد

وفى كل مجتمع جيلان مختلفان ‥ جيل قديم وجيل جديد ‥

الجيل القديم : هو الذى نشأ على نمط معين من الحياة وكبر عليه فمن الصعب عليك أن تغيره أو تتوقع منه تقبل الرأى الجديد ٠

أما الجيل الجديد : فأغلبه من الشباب المتفتح المثقف الذى لم يتجمد على قالب معين للحياة والتقاليد ‥ فهو مرن يتقبل النقد ولايضيره التغيير طالما كان للاصلح ٠

ومن المهم هنا أن نشير الى أن هـذا التقسيم لايرتبط بالعمر بقدر مايرتبط بالعقل والتفكير ·· فكم من شيخ كبير السن ·· ولكنه شباب القلب والعقل ·· متفتح لكل رأى : وكم من شاب صغير السن ·· ولكنه جامد متحجر تقليدى ·· وغير متطور ·

ومن هنا فان جميع الدعاة والمصلحين يتجهون الى الجيل الجديد واضعين فيه آمالهم فى الاصلاح والتغيير ·

تقاليدنا الموروثة

وفى نفس الوقت فان المجتمع الاسلامى بالذات ·· قد ابتلى فى عصرنا هذا بمجموعة من التقاليد القديمة التى ورثناها أبا عن جد ·· وهذه التقاليد قد دخلت على الاسلام والمسلمين على ثلاث مراحل ·

المرحلة الأولى : تقاليد عربية منذ عهود الجاهلية الأولى ·· وجاء الاسلام فحارب أكثرها الذى فيه باطل أو كفر ·· وترك بعضها للزمن وتطور المجتمع ·

والمرحلة الثانية : تقاليد دخلت مع الشعوب غير العربية التى دخلت الاسلام منذ عصر انتشاره الأول ·· واحتفظت بالكثير من عاداتها الاجتماعية لم تغيرها ·

المرحلة الثالثة : دخلت على الاسلام فى عصور تخلف المسلمين ومع انتشار الجهل والخرافات وخاصة فى العصر المملوكى التركى ··

وحول هذه التقاليد يقول الشيخ محمد عبده فى مقدمة كتابه «رسالة التوحيد» «عندما انتشر الاسلام بهذه السرعة ، ابتدأت موجات من الشعوب غير العربية تتحول اليه وتعتنقه

بحماس ولكن هؤلاء الداخلين حديثا على الاسلام قد احتفظوا ببعض عاداتهم ومعتقداتهم وتقاليدهم القـديمة وحاولوا الربط بينها وبين الاسلام · بل لقد ادخلت هذه التقاليد فعلا عليه وأصبحت فى نظر أكثر المتدينين فى تلك البلاد تمثل جزءا لايتجزأ من العقيدة الاسلامية» ·

ولما كانت هذه التقاليد الموروثة لم تنشأ عن مبـادىء مدروسة دراسـة علمية ·· ولم تأت فى تعـاليم منزلة من السماء ·· بل هى مجرد عادات قديمة تنتقل من العواجيز وكبار السن الى الأبناء ومن الجيل القديم الى الجيل الجديد ·· فهى بلاشك تحتمل الصواب والخطأ ·· ومنها النافع ومنهـا الضار ·· ومن النوع الضار مايؤدى الى تأخر الأمم عن ركب الحياة والحضارة · ومنها مايعوق اقتصـادها وتقدمها · أو يجعلها أمما ضـعيفة · يتنـاوبها المسـتعمرون والغـزاة والمحتكرون ·· ومنها مايؤدى الى الكثير من الأمراض الصحية والبيئية ·· أو يخلق نسلا ضعيفا هزيلا فى بنيته ·

ومن هنـا يأتى واجب المصـلحين فى كل أمـة ·· أن يحاربوا التقاليد الضارة بمختلف أنواعهـا ·· وان ينبهوا مجتمعهم وشعبهم الى مدى اضرارها لهم ·· وأن يعملوا على القضاء على هذه التقاليد بكل ما أوتوا من قوة وعزم ·

بين التقاليد والدين :

لكن خطر هذه التقاليد ·· وسر قوتها وصمودها على الزمن ·· انما يرجع الى تخفيها وراء الدين وخاصة عنـد العوام وأنصاف المتعلمين فكلما ازداد الانسان جهلا وتخلفا ·· كلما بعـد عن الكتب الأصلية التى فيها منـابع الدين والعقيدة · واستسهل فهم أمور دينه من كلام الناس وسلوك

السابقين ·· أى من التقاليد الموروثة ·· وهذا هو مايحدث للمسلمين فى عصرنا ·· وهو السر الرئيسى فى تخلفهم ·· فقد أصبح عامة المسلمين اليوم لايعلمون عن قواعد دينهم ومبادئه الرئيسية شيئا ·· وأصبح العامل المسيطر على حياتهم هو التقاليد الموروثة ·· ولكنهم لجهلهم يتصورون أن هذه التقاليد من أوامر الدين ·· وأصبح أكثرهم يدافع عن هذه التقاليد فى عنف وحماس وهو يتصور أنه يدافع عن دينه وعقيدته ·

التقاليد ومكانة المرأة :

ومن أخطر التقاليد التى ورثها المجتمع الاسلامى المعاصر لنا هو نظرته الى المرأة ·· وهى نظرة أبعد ماتكون عن روح الاسلام وأبعد ماتكون عن تعاليمه ··

ويشاء القدر ·· أن جميع التقاليد التى دخلت على المجتمع الاسلامى من المصادر الثلاثة التى ذكرناها قد اتفقت على اهدار مكانة المرأة والحجر على حريتها ·

لقد كان عرب الجاهلية يكرهون البنات ويتشاءمون من الأنثى منذ لحظة مولدها ·· وكان العربى الأول يفضل فرسه على امرأته ويحبس امرأته عن ضيوفه لا خوفا عليها ولكن لانها أذل من أن تجالس الرجال ·· ومازال البدوى حتى يومنا هذا اذا تكلم عن زوجته قال (الحرمة أجلك الله ··) أى أجلك الله وأكرمك من هذه السيرة ، وهذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يصف هذه التقاليد الجاهلية بقوله «والله انا كنا فى الجاهلية مانعد النساء الا متاعا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل · وقسم لهن ماقسم» ·

الضربة الثانية لمكانة المرأة جاءت على يد المماليك

والأتراك الذين حكموا العالم الاسلامى منذ انهيار الخلافة العباسية حتى مرحلة الاستعمار الأوربى • فهذه الشعوب من تقاليدها احتقار المرأة • وتعتبر حريتها انقاصا لرجولة الرجل وكرامته •• وعندما حكموا العالم الاسلامى ألزموه بتقاليدهم بعد أن ألبسوها بقالب الدين •• وكان الثرى الواحد يقتنى الحريم بالمئات •• ويحرسهن له فى سجنه الخصيان والأغوات • وبذلك ظهرت بدعة الحرملك واليشمك والبرقع •• وأصبحت فى نظر العالم كله ظاهرة اجتماعية اسلامية ••

ثم جاءت مرحلة الاستعمار الغربى للعالم الاسلامى • فكان همه الأول أن يبعد المسلمين عن جذور دينهم •• وأن يزيدهم جهلا حتى يزيد هو من سيطرته عليهم • فأغلق المدارس ومعاهد العلم •• وأصبح المسلمون لايعلمون شيئا عن الدين الا مايسمعونه عن جهالهم وعواجيزهم أى من التقاليد الموروثة

المرأة هى السبب ؟

وبسبب هذه التقاليد أصبح العوام فى أنحاء العالم العربى يضعون همهم كله على المرأة ويحملونها وزر كل شيء ابتداء من الاستعمار وظهور اسرائيل •• الى أفقر الدول الاسلامية ، وتخلف اقتصادها الى الهزائم والنكسات العسكرية أمام أعدائهم •• ولا أنسى فى حياتى •• تلك الخطبة الرائعة التى سمعتها فى أحد المساجد بعد نكسة ١٩٦٧ والتى جاء فيها بالحرف الواحد : ـ

«هل تعلمون لماذا حدثت هذه النكسة ولماذا هزمتنا اسرائيل • لأن نساءكم يسرن فى الشوارع كاسيات عاريات

مائلات» ثم يشرح الطريق الى النصر بعد الهــزيمة فيقول «احكموا نساءكم أضمن لكم أن تحكموا الدنيا كلها ٠٠٠ وأن تهزموا اسرائيل ومن هو أقوى منها» ٠٠

وقد بلغ الانفعال الحماسى ببعض الناس يومها أن كنت أخشى أن يخرجوا الى الطريق يضربون كل امرأة مسئولة عن النكسة ٠

وبسبب هذه التقاليد أيضا أصبح التفكير الغالب على الكثير من العوام تفكيرا جنسيا تسيطر عليه عقدة الجنس ٠٠ وأصبح موضوع المرأة وملابس المرأة وخروج المرأة من بيتها ٠٠ هو محور تفكيرهم وحياتهم ٠٠ وهو القضية التى تثير فيهم أشد الحساسية والانفعال ٠

وقد حضرت حوارا بين شاب متعصب فى دينه وبين آخر شيوعى ملحد ٠٠ وابتدأ الحوار حول وجود الله ووحدانيته ٠٠ فكان الشاب المسلم يحاور حول هــذه القضية الخطيرة بالعقل والمنطق ٠٠ وفى هدوء وثقة تدعو الى الاعجاب ٠٠ فلما انتقل الحــوار الى مــكانة المرأة فى المجتمع وحريتها وعملها أفلت منه الزمــام وانفعل بشــدة وكأنما طعن فى كرامته ٠٠

ومن العجيب حقا ٠٠ أن أى كلام عن المرأة مع هــذا الشباب المتعصب فانهم يربطونه دائما بحديث عن الجنس والرقص والفساد ٠٠ وكأن المرأة ليس لها كيان أو وجود أو رسالة فى الحياة سوى الجنس والرقص والفساد وكثير منهم يتصور أن المرأة لاتخرج من بيتها الا بحثا عن الجنس ولا تكلم رجلا الا وهى تريد الجنس ٠

ومن هنا كان الحديث عن الاختلاطدائما احدى القضايا

المثيرة جدا • والتى يصاحبها دائما انفعال شديد وردود فعل عنيفة •• وقد حرصت على أن أورد بابا مستقلا فى الكتاب بعنوان «معركة الاختلاط فى القرن العشرين» أبين فيه كيف كان الحوار فى هذه القضية بالذات يصل الى مالاتحمد عقباه •• وكيف كان ينقلب الى اتهامات قاسية تستعمل فيه ألفاظ لاتشرف أى داعية مسلم •

أدب الحوار الاسلامى

يقول الله تعالى «وجادلهم بالتى هى أحسن» •

ويقول «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم» الأنعام ١٠٨ •

وهكذا وضع الاسلام آدابا للحوار يلتزم فيها المسلمون فى الدعوة الى دينهم •• سواء كان الذى يدعونه كافرا لايؤمن بالله •• أو كان من أهل الكتاب •• وبديهى أن هذه الآداب تكون ملزمة بين المسلمين أنفسهم فى تناولهم لأى قضية من قضايا الدين أو الدنيا يختلفون حولها •

والتزاما بهذه الآداب فقدكان علماء المسلمين وفقهاؤهم اذا اختلفوا فى الرأى يقول الواحد منهم لأخيه فى تواضع وأدب «رأيى صواب يحتمل الخطأ •• ورأيك خطأ يحتمل الصواب» •• ثم يختم ذلك بقوله : والله ورسوله أعلم •• فكلما ازداد الانسان علما وثقافة •• وكلما توسعت مداركه فى الحياة كلما ازداد يقينا أن علمه قليل •• وانه فوق كل ذى علم عليم •• وهذا يخفف من تعصبه لرأيه ويزيده تقبلا للرأى الآخر المعارض له •

أما الانسان الجاهل •• فانه بسبب جهله يتعصب

تعصبا أعمى للقليل الذى يعرفه ٠٠ ويتصور أنه لايوجد فى الدنيا علم غير هذا أو أفضل منه ٠٠ فلايقبل حـوارا ولا جدلا ٠٠ ولايقبل رأيا مخالفا ٠٠ واذا خالفه أحـد فى الرأى احتد وغضب ٠

وأخطر من الجاهل النصف متعلم ٠٠لانه كثيرا مايتصور أنه عالم أو يتظاهر أمام الناس بالعلم ٠٠ وهذا النوع من الناس من المستحيل عليه أن يرجع الى الرأى الأفضل حتى لايتهم بالجهل ٠

ومن هنـا كانت الحكمة البـالغة التى قالهـا الامـام الشافعى : «لو جادلنى مائة عالم لغلبتهم ولو جادلنى جاهل واحد لغلبنى» ٠

ومن الأمور المؤسفة حقا ٠٠ أن جميع القضايا المتعلقة بالدين بالذات : يكون الحـوار حـولها عنيفا ٠٠ يتسـم بالقسوة والعناد ٠ وذلك لتصـور بعض النـاس أن جميع مايتعلق بأمور الدين هو من المقدسات التى لاتقبل الجـدل والحوار ٠٠ أو مجرد اختلاف الاجتهادات ٠ وهـذا مفهوم خاطىء للدين ٠

الاجتهاد مطلوب واختلاف الرأى رحمة .

ففى الدين الاسلامى هناك أمور قطعية وأخرى اجتهادية ٠٠ فالأمور القطعية مثل العقائد ومثل العبادات كوجود الله تعالى ووحدانيته ٠٠ أما الأمور الاجتهادية فمنها العلاقات الاجتماعية ٠ فقد وضع الاسلام لها اطارا عاما ولكنه ترك للمجتهدين من علماء المسلمين حرية التفسير والاجتهاد كل حسب عصره وزمانه وحسب البيئة التى يعيش فيها ٠ أما

حكمة ترك هذه الأمور للاجتهاد فذلك حتى يصبح الدين الاسلامى قابلا للتطور من عصر الى عصر ·· قابلا لان يسد حاجة الناس فى كل زمن ·· ولو أنه وضع جميع القواعد والتفاصيل التى تصلح لعصر نزول الدعوة فقط لأصبح الدين غير صالح لعصرنا الحالى بعد ١٥ قرنا من نزوله

ومن هنا كان الاجتهاد فى مثل هذه الأمور واجبا محتوما لحماية الدين من التجمد ومن هجر الناس له · وغير خاف أن هذا الاجتهاد له روابط وضوابط وأهمها أن يكون فى حدود الاطار الذى حدده الدين والشرع ·

وانطلاقا من هذا المفهوم فان المسلم المثقف الفاهم لدينه لايضيق صدره من أى رأى جديد يسمعه فى الدين طالما كان هذا الرأى فى حدود قواعد الاجتهاد وطالما كان صادرا من عالم دارس لأمور الدين ·

وفى الختام ··

لقد حرصت على أن ألتزم فى هذا الكتاب أكثر من غيره بنفس الأسلوب العلمى الهادف الذى اتبعته فى كتبى السابقة · وهو أسلوب يعتمد على الدراسة والاستقصاء ·· وعرض القضية من كل زواياها وأبعادها · ومناقشة الرأى المؤيد والمعارض لها بحيدة وأمانة علمية · ثم عرض الرأى الذى أتبناه مع مايلزمه من حجج وبراهين ·

ونظرا لحساسية هذه القضية بالذات وما تثيره من جدل فقد حرصت على استعمال الألفاظ الهادئة ·· والكلمات الموزونة ·· وابتعدت عن التعرض للأشخاص ·· أو كلمات التجريح والسخرية ··

أقول هذا لأننى أتوقع أن يكون لهذا الكتاب بالذات رد فعل قوى ‥ وأتوقع أن تكون هناك تعليقات كثيرة وردود ‥ وانى أرحب بكل رد وكل نقد ‥ ولكن فى حدود أدب الحوار الاسلامى ‥ وبحيث يكون الرد مبنيا على دليل شرعى وسند صحيح ‥ أو حجة منطقية أو علمية ‥ وأن يكون هادئا متزنا خاليا من الانفعال ‥ فاذا خرج النقد عن هذا الأسلوب الموضوعى العلمى ‥ فانه يفقد قيمته ولايستحق الرد عليه ...

الباب الأول :

الاختــلاط

فى حكم الدين والشرع

١ ـ تعريف الخلوة فى الفقه الاسلامى ٠

٢ ـ تعريف الاختلاط ٠

٣ ـ تعريف الحجاب ٠

٤ ـ المفهوم المتخلف لمغزى الحجاب والرد عليه من الكتاب والسنة ٠

٥ ـ خطر هذه المفاهيم على الاسلام والمسلمين ٠

٦ ـ زى المرأة فى الاسلام ٠

٧ ـ الرد على الدعاة الى عصر الحرملك ٠

الاختلاط فى حكم الدين :

هناك ثلاثة ألفاظ كثيرا ماتتردد على ألسنة الناس ولكن بمفهوم واحد رغم أن الفارق بينها كبير هى : الاختلاط ـ الحجاب ـ الخلوة ٠

أما كلمة الاختلاط فهى لفظ مستحدث فى عصرنا ، فهذه الكلمة لم تستعمل فى أى موضع من القــرآن الكريم سواء بلفظها أو مدلولها ٠ ولم ترد فى أى حديث نبوي ولا فى أى كتاب من كتب الفقه والتشريع وفى التاريخ الاسلامى الأول لانجد أى اشارة الى الاختلاط كمشكلة تقض مضجع العالم الاسلامى أو تسبب جدلا بين المسلمين كما هو حادث فى عصرنا هذا ٠٠ ولكن المشكلة بدأت فى عصــور تخلف المسلمين مع نهاية الحكم العباسى وابتداء فترة حكم المماليك والأتراك ٠٠ وسوف نتناول فى باب تاريخ معركة الاختلاط هذه المرحلة بالتفصيل ٠

وكثير من الناس فى عصرنا هذا تختلط عليهم المفاهيم بين كلمة الاختلاط وكلمة الخلوة : فالاختلاط مباح شرعا بينما الخلوة حرام ٠

وقد وضع الاسلام القواعد لتنظيم الاختلاط لصالح المجتمع ولمنع الانحراف به عن السبيل ٠

وفى نفس الوقت وضع القواعد والضــوابط لمنع الخلوة والوقاية من أضرارها ٠

الخلوة :

معناها الشرعى (١) وجود المرأة والرجل وحدهما فى مكان مغلق عليهما ولا ثالث معهما • بحيث يكونان آمنين من اطلاع الغير عليهما بغير اذنهما ، أو فى مكان منعزل بعيد عن أعين الرقباء والمجتمع فهذه الخلوة لاتحل الا لكل ذى محرم كالزوج أو الأب أو الأخ والا فهى حرام شرعا •

وقد ذكرت الخلوة فى الاسلام وحددت مواصفاتها وشروطها (الخلوة الصحيحة) •فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول **«لايخلون رجل بامرأة الا مع ذى محرم» متفق عليه** ويقول أيضا **«ما اختلى رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما»** متفق عليه •

وتنتفى الخلوة بوجود رجل آخر وذلك لقول الرسول **صلى الله عليه وسلم «لايدخلن رجل على مغيبة الا ومعه رجل أو اثنان» رواه مسلم والمغيبة هى التى غاب زوجها عن** منزلها سواء كان بسفر أو كان فى البلد •

وتنطبق الخلوة فى عصرنا الحاضر على أى مكان تكون فيه المرأةوالرجل وحدهما بعيدين عن أعين الناس•• فالخاطب وخطيبته •• والموظف والموظفة ، والطبيب والمريضة •• وكل مكان فيه اختلاط بين الجنسين يجب أن لاتكون هناك خلوة فى مكان مغلق •• فاذا وجد ذو المحرم انتفت الخلوة •• وكذلك تنتفى الخلوة فى وجود الناس والمجتمع أو فى

---

(١) راجع : الخلوة فى كتاب « الفقه » على المذاهب الأربعة »
وراجع أيضا « القاموس الاسلامى » احمد عطيه الله ، ص ٢٧٧ ، طبعة سنة ١٩٦٦ م مكتبة النهضة العربية •

وجود شخص ثالث مثل حضور الممرضة عندما يفحص الطبيب مريضته ٠

وهذه اوروبا التى نصفها بالاباحية تجد جميع الشركات ومكاتب الحكومة تمنع الخلوة بين الموظفين ويبنون المكاتب بدون حوائط عازلة ويكتفون بعمل عوازل زجاجية حتى يرى الجميع بعضهم بعضا ٠٠ وقد لايكون الهدف أخلاقيا ولكن الذى يهمهم عدم تعطل الانتاج وتفرغ الموظفين للعمل لا للهو

أما الاختلاط :

فتعريفه : هو تواجد الرجال والنساء معا فى الأماكن العامة مثل :

١ ـ أماكن العبادة : كالمساجد ومناسك الحج ودروس الدين ٠

٢ ـ دور العلم : كالمدارس والجامعات

٣ ـ مكاتب العمل : والمواصلات العامة والمرافق الحكومية ٠

٤ ـ الزيارات العائلية ٠

٥ ـ حفلات السمر البرىء والمناسبات الاجتماعية والأفراح والمتنزهات ٠

٦ ـ ميادين الجهاد والحرب ٠

فهذا النوع من الاختلاط قد أباحه الاسلام ووضع له القواعد التنظيمية والآداب التى تصونه من الفتنة والزلل ٠٠ فمن هذه الآداب مايتعلق بالمكان وبالملابس وآداب الحديث والحوار ٠

أداب الاختلاط فى الاسلام :

(أ) منع الخلوة

(ب) أماكن الاختلاط : فلايجوز للمرأة المسلمة أن تذهب الا الى الأماكن الوقورة التى لايكون فيها مجال لاتيان المحرمات ·· فتذهب الى دور العبادة أو العلم أو العمل أو أماكن الترفيه الشريف البرىء · كالمسرح والسينما أو الزيارات العائلية والأفراح الأسرية ·· ويحظر عليها أن تدخل مكانا تدار فيه خمر أو خلاعة أو مجون · واذا كان ذلك ينطبق على الرجال أيضا فانه على النساء أشد ·

(جـ) آداب الحديث : فلايجوز للمسلمة أن تسمع كلاما فيه خروج عن آداب الاسلام ·· أو تسمع دعابة ماجنة أو لفظا بذيئا ·· أو تتبادل مع أحد من الرجال حديثا ليس فيه وقار وذلك لقوله تعالى : «وقلن قولا معروفا» ·

(د) عمل المرأة : ولايجوز للمرأة أن تعمل فى تلك الأماكن الا العمل الشريف الرفيع فلاترتزق من عرض مفاتنها أو تكتسب من أنوثتها بل يكون رزقها من عملهاونتاج عقلها ·· ويديها ومهاراتها وخبرتها ·

(هـ) ملابس المرأة : يجب أن تلتزم المرأة بالزى الاسلامى الشرعى ·

الحجــاب :

كلمة الحجاب هى احدى الاصــطلاحات التى استعملت بكثرة فى كل مايكتب عن المرأة المســلمة ولكن بمفــاهيم

مختلفة جدا • تتدرج بين السماحة والفهم الى القهر والاذلال فبعض الناس يغالى فى مدلول هذه الكلمة حتى يجعلها بمثابة سيف يرفعه فوق رأس المرأة أو قيد يضعه فى يديها ليقيد حريتها ويحرمها من حقوقها حتى حق التعليم الذى فرضه الاسلام عليها وأمرها به •

والمعروف أنه ليس فى القرآن الكريم كله الا آية واحدة تسمى «آية الحجاب» وهى نزلت فى نساء النبى خاصة دون سائر نساء المؤمنين وكان ذلك عقب حادث معروف فى كتب السيرة : يقول الله تعالى :

«يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه • ولكن اذا دعيتم فادخلوا • فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث • ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لايستحيى من الحق • واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب • ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن» الأحزاب ٥٣ •

وقصة هذه الآية أن عمر بن الخطاب قال : يارسول الله •• يدخل عليك البر والفاجر • فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت هذه الآية (رواه البخارى ومسلم) •

ونقول هنا انها خاصة بزوجات النبى صلى الله عليه وسلم لسبب هام وهو :

أنهن بنص قرآنى لسن فى وضع مثل سائر النساء وذلك لقوله تعالى :

« يانساء النبى لستن كأحد من النساء »

فالرسول كصاحب دعوة يدخل عليه خليط من الناس : «فيهم البر والفاجر» وفيهم من يريد أن ينال من الدعوة فى

شخص صاحبها أو أزواجه ومن هنا تكون المسئولية أكبر ٠ فيقرر الله فى مقابل ذلك أن يضاعف لهن العذاب عند الخطأ ويضاعف الثواب عند الرشد ٠٠ كما أنه لايؤذن لاحداهن الزواج بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ ومن هنا كان الخطاب خاصا بنساء النبى ولم يعمم الى سائر النساء ٠ بل ان تعميمه غير جائز شرعا ٠

وبعد نزول آية الحجاب كان عمر يتصور أنه يعنى عدم خروجهن أصلا من بيوتهن : فلما رأى سودة بنت زمعة احدى زوجات النبى خارجة فى الطريق قال لها : ياسودة ، أما والله ماتخفين علينا فانظرى كيف تخرجين ؟ فانقلبت راجعة الى رسول الله فأخبرته بما كان ٠ فنزل عليه الوحى فى ذلك وقال لها : **قد أذن لكن ان تخرجن لحاجتكن»** رواه البخارى ٠

كان هذا هو المفهوم الأساسى لكلمة الحجاب من أنها (بنص قرآنى خاصة بنساء النبى دون سائر نساء المسلمين) ٠٠

ولكن هناك مفهوم آخر استعمله فقهاء المسلمين فيما بعد لكلمة الحجاب ٠٠ وهو أنه مجموعة تقاليد وآداب تجمع كل مايتعلق بالمرأة المسلمة من حيث ملبسها وزينتها ٠ ومن حيث وظيفتها وتعليمها وعملها ومن حيث علاقتها بالرجال فى المجتمع ٠٠ وهو عام لجميع نساء المسلمين الى جانب نساء النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لقوله تعالى : ـ

«يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين» الآية ، فجعل الخطاب هنا عاما ٠

وللأسف الشديد أن هـذا المفهوم لكلمة الحجـاب قد أصابه الكثير من التشويه والمبـالغة من كثير من المتشددين والمفسرين فى عصور التخلف حتىخرجت الكلمة عن مدلولها التى أراده لها الله ورسوله · فأصبحت أقرب الى الاستعباد والسجن فى الحرملك ·

ويتلخص فكر هؤلاء الناس أو دعوتهم : فى النقاط التالية :

أولا : ان المرأة مخلوق أقل عقـلا من الرجل ·· وانهـا بالتالى أقل ذكاء وعزيمة ·· فلايجـوز أن تستشار فى قضية عامة أو خاصة ولايعتد برأيها فى أى قرار هام ولو كان متعلقا بحياة الأسرة ولايجوز لها أن تتولى أى منصب قيادى أو فيه مسئولية وادارة ·

ثانيا : ان مكان المرأة الوحيـد هو المنزل ·· لاتبرحه الا للضرورة وهم يختلفون فى تفسير هذه الضرورة ·· فمنهم من يأذن لها فقط بقضاء حاجتها من الأسواق ·· ومنهم من يقصرها على عدم الخروج من بيتها الا الى القبر ·

ثالثا : ان تعليم المرأة بالتالى لايجب أن يتعـدى التعـليم المنزلى وتربية الأطفال فلايجوز لها أن تدرس المحاماة أو الهندسة أو الطب أو العلوم بأنواعها ·

رابعا : ان المرأة كلها عورة : وجهها وكفها وحتى صوتها عورة · فلايجوز لها اذا خـرجت الى الطريق العام أن تكشف عن الوجه والكفين ولايجوز لها أن تتكلم بصوتها بين الرجال ولو بقراءة القرآن · ولو بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ·

خامسا : ان اختلاط المرأة بالرجل حرام : مهما كانت الظروف والمبررات ولو كانت لحضور درس فى الدين أو العلم • ولو كانت بالزى الاسلامى •• وكان الرجال من أهل التقوى والخلق •

الدليل الشرعى على بطلان هذه الأفكار :

كثيرا مايحتج أصحاب هذا الرأى بالآية الكريمة «**وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى**»

وقوله تعالى «**واذا سألتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب**» •

ونقول فى الرد على ذلك : ـ

أولا : هذه الآيات خاصة بنساء النبى صلى الله عليه وسلم دون سائر نساء المسلمين وهذا التخصيص جاء فى النص القرآنى بحيث لايحتاج الأمر الى اجتهاد أو تأويل :

فالله تعالى يوجه الخطاب اليهن خاصة بقوله تعالى : «يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا • ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما •• يانساء النبى لستن كاحد من النساء • ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول ، فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا • وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ، ففى الآيات تصريح بأن نساء النبى لسن كغيرهن من النساء ، وبأن من خصوصياتهن مضاعفة

العذاب لهن ضعفين عن الفاحشة المبينة •• ومضاعفة الأجر مرتين عن القنوت لله ورسوله والعمل الصالح •• وفى سياق هذه الخصوصيات جاء الأمر لهن بالقرار فى بيت النبى عليه الصلاة والسلام •

وزيادة على التأكيد على هذه الخصوصية فان الله تعالى يقول :

«وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما) ،
عندما يقول الله للمؤمنين لاتنكحوا أزواج النبى من بعده ، نفهم أنها خصوصية لبيت النبوة وليست عجزا من نساء النبى، عن المعاشرة لغير النبى عليه الصلاة والسلام •

فالذين يستشهدون بهذه الآيات يستعملونها فى غير موضعها الذى جاءت له •• والغرض الذى أنزلت من أجله •• وقد يقول بعضهم ان نساء النبى قدوة لسائر نساء المسلمين •• وماينطبق عليهن يجب أن ينطبق على الجميع •• ونقول ان هذا مخالف لنص الآية • الذى يقول «لستن كأحد من النساء» واذا حاولنا تطبيق هذه الآيات على سائر النساء لوقعنا فى مخالفة لنصوص أخرى من القرآن مثل قوله تعالى «وانكحوا الأيامى منكم» والأيم هى من لا زوج لها سواء كان زوجها متوفيا أو كانت مطلقة •• فشجع القرآن على زواجها بينما حرمه على نساء النبى من بعده •• كما يتعارض مع قوله تعالى :

«ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها» الأنعام

فى حين أن نساء النبى «يضاعف لها العذاب ضعفين»

فهل ياترى يقصد هؤلاء أن نأخذ من الآيات مايحلو لنا

ونترك ما لا يناسبنا .. أليس فى ذلك تجنى على كتاب الله ..

ثانيا : تفسير هذه الآيات لايعنى الزام المرأة بالبيت لاتبرحه أو منعها من الاختلاط بالناس والمجتمع .

فقوله تعالى «**وقرن في بيوتكن**» مرتبط بباقى الآية ومفسر له فى قوله تعالى «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى» فالقصد من القرار فى البيت هنا هو الحشمة والوقار .. وعدم الاقتداء بتقاليد الجاهلية .

ودليلنا على ذلك أن نساء النبى بعد نزول آيات الحجاب كن يخرجن لحاجاتهن فى حياته وبعد وفاته . فمنهن من خرجت للقتال فى معركة الجمل ومنهن من كانت تدلى برأيها ونصيحتها للخلفاء الراشدين ومنهن من كانت تخطب فى وفود المسلمين ترشدهم الى أمور الدين . وسوف نأتى لتفصيل واسع لدور نساء النبى فى كل مجالات الحياة العامة فى الباب الثانى من هذا الكتاب .

ثالثا: أما دعوتهم الى غطاء وجه المرأة وكفيها فدعوة مملوكية تركية وليست اسلامية .. وهى مخالفة لاجماع جمهور الفقهاء حول الحجاب الشرعى . فجمهور الفقهاء والمفسرين يرون أن الأصل هو كشف المرأة لوجهها وكفيها .. بينما هؤلاء يرون الأصل فى النقاب أو البرقع ولبس القفازين .

ولو كان النقاب والقفازات سنة مستحبة فى الاسلام لما حرمهم الاسلام فى المناسك والحج والصلاة . فقد جاء فى صحيح البخارى «لاتنتقب المرأة المحرمة ولاتلبس القفازين» رواه البخارى والنسائى وأحمد والبيهقى .

لقد أمر القرآن الكريم الأمة الاسلامية رجالا ونساء بغض البصر فقال تعالى فى سورة النور **«قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» النور ٢٩**

فلو كانت المرأة تغطي وجهها لما كانت هناك حاجة الى هذه الآية وكان نزولها بغير مبرر • وقد جاء فى كتب الحديث عن العباس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب فى حجة الوداع وقد وقفت أمامه امرأة وضيئة الوجه فأخذ الفضل بن عباس ينظر اليها فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بدقن الفضل فحول وجهه من الشق الآخر فسأله العباس : يارسول الله لم لويت عنق ابن عمك • قال صلى الله عليه وسلم رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما» • رواه أحمد والنسائى فى المناسك والموطأ فى الحج •

وبديهى أن هذه المرأة المسلمة كانت كاشفة (١) وجهها رغم جمالها وأن هذه الحادثة وقعت فى حجة الوداع أى بعد نزول آية الحجاب بزمن طويل ••

أما قولهم أن غطاء الوجه مستحب للمرأة الجميلة لدرء الفتنة فكلام لايقبله منطق •• فالفتنة تمنع بالعفة وغض البصر والتربية الاسلامية • ولاتمنع بغطاء الوجه •• ولو كان هذا الغطاء يمنع الفتنة لأمر الرسول هذه المرأة الجميلة التى نظر اليها الفضل بغطاء وجهها بدلا من أن يمنعه من اطالة النظر •

وأخيرا فان كلمة الحجاب التى أمر بها نساء النبى لاتعنى غطاء الوجه • ولكنها كانت تعنى أمرا اليهن اذا حضر

---

(١) كتاب حجاب المرأة المسلمة لمؤلفه الأستاذ ناصر الدين الألبانى ص ٢٨ طبعة سنة ١٣٨٩هـ بيروت •

الرجل الغريب الى البيت فى غيبة النبى فلا تكلمه الا من وراء حجاب (أى ساتر) وذلك لمنع الخلوة ٠

وقد روى مسلم عن جابر قال «كنت جالسا فى دارى فمر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى فأخذ بيدى فانطلقنا حتى اتى بعض حجر نسائه فدخل ثم اذن لى فدخلت الحجاب عليها ٠٠ الخ» (رواه مسلم باب الأشربة) فمفهوم الحجاب هنا هو الساتر وليس غطاء الوجه ومغزى الاذن للرجل الغريب بدخول الحجاب عليها هو انتفاء الخلوة بوجود صاحب البيت ٠

وهكذا فمن الواضح لكل دارس فاهم للاسلام أن هذه الأفكار تتعارض مع جوهر الدين ٠٠ ومع نصوص القرآن والسنة ومع ما اتفق عليه علماء المسلمين فى عصور ازدهار الاسلام وفى مقدمتهم الفقهاء أصحاب المذاهب الخمسة ٠

فالمرأة المسلمة يحق لها أن تتولى جميع المناصب القيادية والسياسية ما عدا الامامة الكبرى وهى الخلافة التى اختلفوا حولها ٠

والمرأة المسلمة من حقها الى جانب رعاية البيت أن تخرج للعمل والرزق الى جانب الرجل فى التجارة أو الوظيفة طالما كان ذلك لايؤثر على عفتها ٠٠ ولايعيقها عن رعاية بيتها وأسرتها ٠

ومن حق المرأة المسلمة أن تتلقى كل أنواع التعليم الذى يتلقاه الرجل المسلم دون تمييز بينهما ٠

والزى الشرعى فى الاسلام لايشمل غطاء الوجه واليدين بل ان بعض المناسك كالحج تبطل اذا غطت وجهها ٠

وصوت المرأة ليس بعورة فقد كانت نساء النبى صلى الله عليه وسلم يخطبن فى الرجال ويروين الأحاديث لعلماء السيرة والحديث من الرجال ٠

واذا كان عقل المرأة أصغر حجما ووزنا من عقل الرجل فذلك راجع الى صغر جسمها ووزنها وليس دليلا على انها أقل ذكاء كما يتصورون أو أقل مقدرة على المسئولية فى العمل واتخاذ القرار الحاسم ٠

والاسلام قد أباح الاختلاط ولكنه حرم الخلوة والفارق بينهما كبير ٠ كل ذلك فى حدود ماذكرناه من الآداب والقواعد الشرعية ٠

وسوف يأتى تفصيل الحكم الشرعى لذلك فى باب الاختلاط على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ٠

ومن هنا نتبين أن هذا المفهوم المتخلف للحجاب لاينبع من تعاليم الدين ٠ ولكن منبعه التقاليد الجاهله والمنحرفة ٠ التى أدخلت على الاسلام ونسبت اليه واحتمت به ٠٠ بل (كما يقول العقاد) ان هذا المفهوم للحجاب كان السائد فى العالم كله قبل الاسلام عندما كانت المرأة تعامل كالعبد أو الحيوان . فيقول العقاد فى كتابه «المرأة فى القرآن» «من الأوهام الشائعة بين الغربيين أن حجاب النساء نظام وضعه الاسلام ، وانه لم يكن له وجود فى الجزيرة العربية ولا فى سواها قبل الدعوة المحمدية ٠ وكادت كلمة المرأة المحجبة عندهم أن تكون مرادفة للمرأة المسلمة أو المرأة التركية التى حسبوها زمنا مثالا لنساء الاسلام ٠ وهذا وهم من الأوهام الكثيرة التى تشاع عن الاسلام خاصة بين الأجانب عنه»

ثم يقول بعد أن يؤكد أن هذا الحجاب كان موجودا قبل الاسلام عند جميع شعوب الأرض :

«جاء الاسلام والحجاب فى كل مكان · فوجد فيه تقليدا سخيفا وبقية من بقايا العادات الموروثة · لايدرى أهو اثره فـــردية أم وقاية اجتماعية بل لايدرى أهــو مانع للتبرج وحاجب للفتنة · أم هو ضرب من ضروب الهوى والفتنة» ·

وقد أدى هذا المفهوم الجاهل لكلمة الحجاب الى تخلف المسلمين عن ركب الحياة والى انحدار مستوى المرأة المسلمة عن نساء العالم كله فكريا وحضاريا وثقافيا · وفى ذلك يقول المفكر الاسلامى البهى الخولى فى كتابه الاسلام وقضايا المرأة المعاصرة» ·

«الحجاب كلمة عاشت بمدلول خطير خاطىء فى المجتمعات الاســلامية على مختلف بيئاتها فقــد فهمه البعض على أنه استقرار المرأة فى البيت لاتبرحه الى أى مكان آخــر ·· حتى كانت المرأة فى كثير من البيــوت تلزم بيت الزوجية لاتخرج منه الى بيت أبيها أو الى غيره حتى تنتهى حيــاتها وكانت المبالغة فى ذلك دليل شرف الأسرة وعــراقة أصلها واحتفاظها بأسمى مستوى محمود للآداب والفضيلة · وكانت خلال اقامتها فى البيت لاترى أجنبيا ولا يراها أجنبى حتى كانت تمرض المرض الخطير فلا يستبيحون أن يدخل طبيب ليكشف عن مرضها لانه أجنبى»

خطر هذه الأفكار على الاسلام والمسلمين :

ذكرنا أن هذا المفهوم المتخلف للحجاب قد بدأ فى الزوال فى العالم الاسلامى فى عصرنا الحاضر ·· ولم يعد يطبقه اليوم غير فئات قليلة من الناس من غير المتعلمين أو أنصاف

المتعلمين الذين اختلطت عليهم الأمور بين أوامر الدين والتقاليد الموروثة عن عصر المماليك والحكم التركى ·

واليوم أصبحت الأسر المسلمة المثقفة تبعث ببناتها واولادها معا لتلقى العلم فى الجامعات المشتركة وتخرجت الفتاة المسلمة وحصلت على أعلى شهادات التخصص · واصبحت منهن الطبيبات والمهندسات والمحاميات والمتخصصات فى مختلف فروع العلوم النظرية والعملية ··

وأصبح كبار علماء الدين ورجاله أحرص الناس على تعليم بناتهم فى تلك الجامعات والحاقهن بالوظائف العامة فى الدولة ·

وذلك ايمانا منهم بأن التعليم الحر يزيد المرأة عفة وعقلا ووقارا ·

وان الوظيفة العامة تهيىء لها تجربة وخبرة بالحياة · وتهيىء لها بالتالى استقرارا أكثر فى حياتها الزوجية · ودخلا للاسرة واعتمادا اكثر على النفس ·

ولكن للاسف الشديد · ونحن فى أواخر القرن العشرين بدأت الآن تظهر جماعات متطرفة · تدعو الى عودة المرأة المسلمة الى سجن الحرملك والى عزلها عن الحياة وعن العلم · وباختصار فهم يطالبون بالعودة الى هذا المفهوم المنحرف والمتطرف للحجاب ·· والذى جاهدت الأمة الاسلامية قرون طويلة لكى تتخلص منه ·

ورغم قلة أصحاب هذا الرأى · فان خطرهم يرجع الى تصورهم ان دعوتهم هذه من تعاليم الدين الأصيلة وليست مجرد تقاليد موروثة وبهذا الاعتقاد يدافعون عنها ويتعصبون لها بعنف وشدة · وهم يتصورون أنهم يدافعون عن دينهم

وعقيدتهم • ومنهم من يتصيد الشباب فى مرحلة المراهقة • فيشحنه بهذه الأفكار •• ولما كان الشباب المسلم لا يجد من يوجهه الوجهة الصحيحة فانه يقع فريسة سهلة للتعصب الجاهل والعنف بغير مبرر •• فكثيرا ماكان الحوار حول قضية المرأة بالذات يتخذ قالب العنف وخاصة فى الجامعات حيث ينقلب الحوار الفكرى او الندوات العلمية حول هذه القضية الى تشابك بالأيدى وضرب بالنعال وتدخل الشرطة •

ويكفى أن نقول ان هذه الأفكار المتخلفة قد جعلت الشباب المعتدل فى العالم الاسلامى يتصورون أن دين الاسلام ضد التطور •• وأنه لم يخلق لزمانهم وعصرهم • وأنه لايستطيع أن يواجه مشاكل الحياة الحديثة ولا يساعد على نهضة الأمم وأصبحوا بالتالى يتباعدون عن الدين •

ومن هنا كان الواجب على كل داعية مسلم ان يصلح هذه الأفكار الخاطئة وأن يخلص الدين من شوائب التقاليد الموروثة ، فالدين قواعد ثابتة ومحددة •• والمغالاة أو المزايدة عليها لاتقل خطرا على الدين من التفريط أو الانحراف عنها • وان من يحاول أن يدخل على شريعة المسلمين ماليس منها هو فى عرف الدين مبتدع لبدعة ضارة وسيئة •

زى المراة فى الاسلام :

١ ــ يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب :

«يايها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما» الأحزاب ٥٩ •

٢ ـ ويقول أيضا فى سورة النور :

«وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الا ماظهر منها • وليضربن بخمرهن على جيوبهن» النور ٣١ (والخمار هو الشال الذى تلبسه المرأة على رأسها والجيب هو فتحة الصدر مابين النهدين والقصد هو تغطية الصدر) •

٣ ـ وعن أسماء قالت : قال صلى الله عليه وسلم : **ياأسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا •• (وأشار الى وجهه ثم أمسك** بين يده وكفه مثل قبضة أو قبضتين) رواه أبو داود •

٤ ـ وروى البخارى عن أنس قال : «لما كان يوم احد انهزم الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم •• ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم •• وانهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما (أى الخلاخيل) تنقران القرب على متونهما تفرغانه فى أفواه القوم» •

ومعنى هذه الآيات والأحاديث أن جسم المرأة كله عورة (ماعدا الوجه والكفين حتى نصف الذراع وكذلك القدمين) •

كذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الملابس التى تشف أى تبين لحم البدن تحتها وعن الضيقة التى تبرز كل جزء من الجسم •

واذا أردنا تصورا للزى الاسلامى المثالى فى القرن العشرين فهو ماتلبسه المرأة الباكستانية المثقفة •• وهو عبارة عن سروال واسع طويل •• وفوقه سترة أو حلة تصل

حتى فوق الركبة ••• واذا لبست الشال على رأسها تدليه على الصدر ثم ترفعه الى الكتف •• وبذلك تكشف الوجه والذراعين حتى منتصف الذراع •• كما أن السروال لايصل الأرض بل يكشف القدمين

هذه هي المعالم الرئيسية لزى المرأة المسلمة وليس فيه شيء من هذه المبالغات والبدع التى يدخلها عليه بعض المفسرين والمنفرين من الدين ••

ويجب أن نبين هنا بعض النقاط الهامة

ـ ان الاسلام لايمنع الزينة الظاهرة •• ومعناها زينة الوجه والذراع حتى نصفه والقدمين وذلك بنص قرآنى (الا ماظهر منها) ولكن على المرأة أن لاتبالغ فى هذا الشأن الى حد التبرج • وكلما كانت الزينة بسيطة وأقرب الى الفطرة كانت أدعى للوقار •

ـ ان الزى الاسلامى لايمنع الأناقة فى الملبس بل يجب أن يكون أنيقا وجميلا •• فليس القصد منه هو القبح • ولا تشويه الجمال •• ولكن القصد منه هو منع الفتنة واكساب المرأة سيماء الوقار وان المرأة التى تلتزم بالزى الشرعى الاسلامى مطالبة أكثر من غيرها من النساء بالعناية بملبسها وزيها حتى لاتخسر حب زوجها أو يتطلع الى غيرها وكذلك حتى تكون قدوة حسنة لسائر النساء •

وقد رأيت الكثيرات من نساء المسلمين عندما يتحجبن يهملن العناية بملابسهن ومظهرهن •• وهن يتصورن أن هذا من باب العبادة والتقرب الى الله ناسين قوله تعالى :

«خذوا زينتكم عند كل مسجد» •

وقــول النبى صـــلى الله عليه وسلم «أحســنوا رداءكم وأحسنوا ركابكم حتى تكونوا شامة فى الناس» ٠

ـ والزى الاسلامى ليس مجرد ملابس تلبس ٠٠ وتطول أو تقصر ٠٠ ولكن أهم من هذا أنه ســلوك وآداب ٠٠ وقد رأيت مس بعض النســاء المحجبات أنــواعا من التطرف فى سلوكهن ٠٠ فمنهن من تعبس فى وجــه الناس وترد ردودا جافة أو خشنة لاتتناسب مع أنوثة المرأة وهى تتصور أنهــا بذلك تكون أقرب الى التدين ٠٠ ومنهن من تبالغ فى العكس ٠٠ فتتصور أن الزى الاسلامى يحميها من كل ظن فتحــاول دائما لفت الأنظار اليها بطريقة تتنافى مع الهدف من الحجاب ونقول هنا ان خير الأمور الوسط ٠٠ والبعد عن المغالاة ٠٠ (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ٠

الباب الثانى

الاختلاط

على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

(أ) فى وقت السلم :

١ ـ الاختلاط فى المسجد

٢ ـ الاختلاط فى أماكن الدراسة والعلم ٠

٣ ـ الاختلاط فى أماكن العمل ٠

٤ ـ الاختلاط فى العمل السياسى ٠

٥ ـ الاختلاط فى الزيارات العائلية ومائدة الطعام

٦ ـ الاختلاط فى المناسبات الاجتماعية واللهو البرىء

٧ ـ الاختلاط فى مهنة الطب والتمريض

(ب) فى وقت الحرب : ـ

ـ فى القتال الفعلى

ـ فى المشورة عن الحرب

ـ حق الاجارة والعفو عن الأسير

ـ الاشراف على تمويل الجيش بالسلاح والطعام ٠

ـ فى حراسة الجيش ٠

ـ فى التعبئة المعنوية ٠

الاختلاط فى المسجد

لم يكن المسجد على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مجرد مكان للصلاة فحسب ـ بل كان بمثــابة المدرسة التى يتعلم فيها المسلمون جميعا رجالا ونساء وأطفالا كل شئون الدين والدنيا ·· ويستمعون الى مختلف المواعظ والحكم والآداب ·

وكان بمثابة مجلس الأمة الذى تناقش فيه شئون الدولة وينتخب الخليفة وتعلن الحرب · وكان ملتقى الجهاز الحكومى الذى يصدر أعلى قرارات الدولة والحكم ·

هــذا الى جانب دوره الاجتمــاعى حيث تلتقى الأسره المسلمة بجيرانها وأصــحابها ويلتقى المجتمع الاســلامى كله ببعضه ··فتقام فيه مراسيم الزواج وأفراح الأعياد ·

وفى حكم الشرع أنه يحق للمرأة الصلاة فى المســجد وحضور جميع النشاطات الأخرى والمشاركة فيها ابتداء من درس الفقه والدين الى المشــاركة فى اختيار الخليفة ، وقد حارب الاسلام التقاليد الجاهلية التى كانت تميل الى عــزل المرأة عن المجتمع ··· فكان بعض الرجال يحاول منع امرأته من الخروج الى المسجد فاشتكت النساء الى الرسول فقال صلى الله عليه وسلم «**اذا اســتأذنت امرأة أحــدكم فلا يمنعها**» رواه مسلم «وعاد بعضهم يحاول منع النســاء من حضــور المسجد بالليل فقال لهم الرسول «**اذا استأذنكم نساؤكم بالليل الى المسجد فاذنوا لهن**» وفى رواية أخرى يقول صلى الله عليه

وسلم «**لاتمنعوا اماء الله دور الله**»(متفق عليه) ، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى صحيح مسلم أن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لاتمنعوا نساءكم من المساجد اذا استأذنكم اليها» فقاطعه أحد الأعراب قائلا «والله لتمنعهن حتى لايتخذنه دغلا» فثار عليه عبد الله بن عمر وسبه سبا سيئا ماسمع سبا أحد مثله قط ٠ وقال أخبرك عن رسول الله فتقول والله لنمنعهن٠ وقاطعه العمر كله ٠

أين تجلس المرأة فى المسجد :

قد يتبادر الى أذهان بعض الناس أن المكان الشرعى الوحيد للمرأة فى المسجد هو مايحدث فى مساجد اليوم حيث توضع فى غرفة مغلقة أو فى شرفة خاصة ولها باب مستقل حتى لايراها الناس ولاتختلط بالرجال فاذا لم توجد الغرفة ولا الشرفة أو المدخل الخاص منعوها من الدخول ٠٠ وقد رأيت فى بعض المساجد يعلقون خرقة بالية لكى تحجز بين الجنسين ٠ ومن المناقضات العجيبة أنك تجد فى مكاتب الحكومة الموظفين والموظفات يعملون معا فى مكتب واحد وقاعة واحدة ٠٠ فاذا قاموا للصلاة معا انفصلوا عن بعضهم الى رجال وحريم ٠٠ فهل ياترى نخاف الفتنة أثناء الصلاة بينما لانخافها أثناء العمل العادى ٠٠ فهذه كلها بدع دخيلة على الاسلام ولم تكن مطبقة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

والحكم الشرعى الذى أجمع عليه الفقهاء وأصحاب المذاهب الأربعة أنه يحق للمرأة أن تحضر صلاة الجماعة فى المسجد وتصلى خلف الامام وهى بجانب الرجل أو أمامه أو

خلفه ولاتبطل صلاتها بذلك كما لاتبطل صلاة أحد من المصلين ..

وهذا كما ذكرنا متفق عليه من جميع المذاهب ، غير أن المذهب الحنفى يشترط فى حالة جلوس المرأة بجوار الرجل فى المسجد أن لاتكون بينهما فرجة (أى مسافة) تسع رجلا وأن لاتحاذى الرجل بساقها وكعبها .

ونظرا لأهمية هذا الحكم فى قضية الاختلاط فقد رأيت أن أورد النص الحرفى من كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» (جـ ١ ـ ص ٢٩ طبعة دار الارشاد) .

فقد جاء فى باب الصلاة تحت عنوان «اذا صلت المرأة جنب الرجل أو أمامه وهى مقتدية ويعبر عن ذلك بالمحاذاة .. فيقول (اتفق الأئمة الثلاثة على أن المرأة اذا صلت خلف الامام وهى بجنب رجل أو أمامه لاتبطل صلاتها بذلك . كما لاتبطل صلاة أحد من المصلين المحاذين لها) .

وجاء فى (١) (معجم الفقه الحنبلى) (جـ ٢ ـ ص ٥٣) فى باب صلاة الرجل وأمامه أو بجانبه امرأة مانصه (يكره أن يصلى الرجل وأمامه امرأة تصلى فان لم تكن فى صلاة فلا يكره . وكذلك ان كانت عن يمينه أو يساره فلا يكره ولو كانت فى صلاة) انتهى .

ومعنى ذلك اتفاق جميع المذاهب على جواز تواجد المرأة بجوار الرجل فى أماكن العبادة ودروس العلم . وبديهى أن

---

(١) معجم الفقه الحنبلى ، جـ ٢ ص ٥٣٦ .

هذا الحكم لم ينشأ من فراغ .. أو مجرد اجتهاد ولكنه القاعدة التى كان معمولا بها على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

فقد جاء فى كتب التفسير أن (امرأة كانت تصلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم حسناء من أحسن الناس . فكان بعض القوم يستقدم فى الصف الأول لئلا يراها ويستأخر بعضهم حتى يكون فى الصف الآخر فأنزل الله فيهم قوله تعالى : ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين» (سورة الحج رقم ٢٤) .

(رواه الترمذى فى التفسير سورة ١٥ ـ والنسائى فى الامامة وابن ماجه فى اقامة الصلاة ٦٨ ـ وابن حنبل فى ١ ـ ٣٠٥ .

وترجع أهمية هذه القاعدة الشرعية الى الحقائق التالية : ـ

انها مطبقة حاليا فى الصلاة فى مسجد الرسول والمسجد الحرام وفى جميع مناسك الحج حيث لايحدث فصل للرجال عن النساء .

انها كانت مطبقة فى دروس العلم فى المساجد الاسلامية الأولى حيث كان طلاب العلم والطالبات يجلسون معا لتلقى العلم على يد أستاذهم .

انها تنطبق على دور العلم والجامعات المختلطة فى عصرنا هذا حيث يجلس الطلبة والطالبات جنبا الى جنب دون أن يكون فى ذلك أى مخالفة للشرع .

---

(١) رواه البخارى باب ما استدركته عائشة على الصحابة .

وهذه القاعدة الشرعية لاتتنافى مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها • وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**» رواه أحمد •

فليس القصد بهذا الحديث منع الاختلاط فى المسجد • بقدر مايهدف الى التنظيم وتجنب التزاحم والاحتكاك أثناء الصلاة • بحيث يعرف كل فريق المكان الذى يتجمع فيه : كما أنها اذا طبقت على صفوف الصلاة فلاتنطبق على درس الدين فى المسجد •

ومن هنا نقول : انه يجب ازالة الحواجز المصطنعة داخل المساجد بين الرجال والنساء •• والتى أبتدعت فى عصور المماليك والأتراك فاذا كان المسجد مزدحما صلت النساء فى الصفوف الخلفية والرجال فى الصفوف الأمامية •• فاذا لم يكن هناك ازدحام فللمرأة أن تصلى وتحضر دروس الدين بجوار زوجها وأولادها وفى أى مكان تشاء من المسجد •

الاختلاط فى أماكن الدراسة والعلم :

ذكرنا أن المساجد كانت دور العلم الأولى للمسلمين والمسلمات وفى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت النساء يحضرن الدروس مع الرجال ويستمعن الى المواعظ ، وقد جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قوله :

«صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم أقبل علينا بوجهه وقال مجالسكم «هل منكم الرجل اذا أتى أهله وأغلق بابه وأرخى ستره ثم يخرج فيحدث فيقول فعلت بأهلى كذا وفعلت بأهلى كذا ؟• فسكتوا حياء فاقبل على النساء فقال : هل منكن من تحدث ؟• فجثت فتاة كعاب على

احدى ركبتيها ٠٠ وتطاولت ليراها رسول الله ويسمع كلامها ٠٠ فقالت : اى والله انهم يتحدثون فقال رسول الله : هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ٠ ان مثـل من فعـل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقى احدهما صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون» «رواه مسلم واحمد وابو داود» ٠

فهذه القصة على بساطتها لها دلالة تشريعية هامة ، فهى أقرب مثل لما يحدث اليوم فى جامعاتنا عندما يسأل الأستاذ تلاميذه من طلبة وطالبات سؤالا علميا ، وهى خير دليل على اقرار الاسلام لمشـاركة المـرأة ، الرجـال فى دور العـلم ومشاركتها فى الحوار ٠

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدخل على زوجته والمدرسة تعلمها القراءة والكتـابة فلاتخـرج المدرسة فى حضوره ولا تتحرج من وجوده ٠٠ فقد روى مسلم وأبو داود عن الشفاء بنت عبد الله قالت :

«دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة ٠٠ فقال لى : **الا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة**» ويقصد برقية النملة تحسين الخط وتزيينه فهـذه الرواية تشبه مايحدث عندنا اليوم عندما يدخل المفتش على الطالبات فى الفصل والمدرسة تعلمهن فيراقب عملها ويعطيها نصائحه وتوجيهاته ٠

وقد بلغت المرأة المسلمة شانا عظيما فى العلم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ وكان من نساء الصحابة رواة الحديث الثقاة ويأتيهن الرجال من مختلف الأقطار لتلقى العلم عنهن ٠ وقد جاء فى كتاب الطبقات الكبرى أن عدد من روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء نيف وسبعمائة

امرأة · وجاء فى كتاب (طبقات الشافعية) أن الامام الحافظ بن عساكر كان له بين تلامذته وأتباعه بضع وثمانون من النساء ·

وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل من السيدة عائشة فى منزلة أستاذ فى العلم لأئمة المسلمين اذ يقول (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) وقد قدر فقهاء المسلمين أن أكثر من نصف الأحكام الفقهية قد سئلت فيها عائشة وكان لها دور فى شرحها · هذا علاوة على دورها فى رواية الحديث ·

وقد تميزت النساء المسلمات بالصدق والعلم والأمانة فى الرواية والحيدة عن مواقع التهم مما لم يتوفر لكثير من الرجال ، وقد ذكر الامام الحافظ الذهبى فى نقده لرواية الحديث أربعة آلاف رجل من رواة الحديث متهمون بتهم مختلفة مثل عدم الدقة أو الغفلة أو التدليس · ثم قال بالحرف الواحد ، وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها» · ولم تكن رواية الحديث بالأمر الهين · فقد كان الرجال يسألون السيدة عائشة فى مواضيع شديدة الحرج والحساسية مثل العلاقات الجنسية بين الزوجين فكانت تجيبهم بتعاليم الاسلام فى كل قضية · فقد جاء فى صحيح مسلم أن فريقا من الأنصار والمهاجرين اختلفوا فيما بينهم حول غسل الحائض ·· فقال أبو موسى الأشعرى «أنا أشفيكم من هذا الخلاف» ثم يقول فقمت فاستأذنت على عائشة فأذن لى ·· فقلت ياأم المؤمنين انى أريد أن أسألك عن شىء وانى أستحييك فقالت لاتستحى ان تسألنى عما كنت سائلا عنه أمك التى ولدتك فانما أنا أمك ·· وهكذا كانت أم المؤمنين بعلمها تحسم أدق القضايا الفقهية التى يختلف حولها العلماء والفقهاء والمشرعون ·

وتقديرا لعلم عائشة رضى الله عنها • واعترافا بدقة روايتها فقد خصص لهـا الامام البخـارى فى صحيحه بابا بعنوان (ما استدركته عائشـة على الصـحابة) اى الأحاديث والفتاوى التى صححتها لكبار الرواة •

وقد جاء في صحيح البخارى تحت هذا الباب

«دخل على عائشة رجلان قالا» ان أبا هريرة يحدث أن نبى الله كان يقول «انما الشؤم فى ثلاثة • فى المرأة والدابة والدار • فطارت شقة منها فى السماء وشقة منها فى الأرض وقالت «والذى أنزل القرآن على أبى القاسم ما هـكذا كان يقول • انما قال لعن الله بنى اسرائيـل : كانوا يقولون الشؤم فى ثلاثة : المراة والدابةوالدار» وانما دخل ابو هريرة علينا فسمع آخر قول الرسول ولم يسمع أوله •

ومرة أخرى جاءها بعض الصحابة وقالوا انهم سمعوا أبا هريرة يقول «قال رسول الله يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب» فقالت عائشـة مصححة معنفة «شبهتمونا بالحمير والكلاب •• والله لقد رأيت رسول الله يصلى وأنا أرقد على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة •• فتبدو لى الحاجة فأكره أن أجلس فأوذى رسول الله فأنسل من عنـد رجليه» رواه البخارى •

وقد ظل هذا الاختلاط بمثل هـذا المسـتوى الشريف العفيف معمولا به فى مجالس العلم فى عصور ازدهار الاسلام • فقد جاء فى الأغانى (١) •

---

(١) الأغانى جـ ١٠ ، ٥٧ •

«دخلت عائشة بنت طلحة على الخليفة هشام بن عبدالملك ٠ وكانت مشهورة بالعلم والبلاغة قال لها : ما أوفدك ؟٠ قالت: حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق والشكوى الى الله؟٠٠ قال اننا سنعرف حقك ٠ وجمع شيوخ بنى أمية الى مجلسه وأدخلها عليهم ٠٠ فما تذاكروا شيئا من أخبار العرب وأشعارها وأيامها الا تذاكرته وأفاضت فيه ٠ فتكلموا عن النجوم فما طلع نجم ولا أغار الا سمته حتى عجب الخليفة من علمها وقال لها : ـ أما علمك بالسيرة فما ننكره عليك ٠٠ وأما علمك بالنجوم فمن أين لك ؟ قالت (١) : من خالتى عائشة ، فأمر لها بمائة ألف درهم ٠

الاختلاط فى أماكن العمل :

لقد كانت نساء الصحابة ينزلن الى الأسواق مع الرجال للبيع والتجارة وكانت زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم يشترين بأنفسهن حاجة بيوتهن من السوق وقد أشرنا الى قصة سودة زوجة الرسول التى خرجت لحاجتها بعد نزول آية الحجاب فرآها عمر بن الخطاب فقال «والله ماتخفين علينا ياسودة» ٠

ـ ذلك أنه فهم آية الحجاب أنها تعنى عدم مخالطتهن للرجال فى الأسواق العامة ٠٠ فرجعت الى الرسول وحدثته ٠ **فنزل عليه الوحى فى ذلك وقال لها «قد اذن لكن ان تخرجن لحاجتكن» ٠**

وبعض نساء الصحابة كان يشتغل بالتجارة كخديجة أم المؤمنين وبعضهن صاحبة صنعة وتبيع من صنعتها وتنفق على

---

(١) وهى ابنة أم كلثوم بنت ابى بكر وخالتها عائشة أم المؤمنين ٠

زوجها وأولادها وقد جاءت امرأة تسأل الرسول ان كان انفاقها على زوجها من كسبها يعتبر صدقة وتثاب عليها فأقرها على ذلك ٠

وقد ولى عمر بن الخطاب امرأة اسمها الشفاء على سوق المدينة وهو منصب قضائي وكان يقدمها فى الرأى ، وكذلك ولى سمراء بنت نهيك الأسدية منصبا مماثلا على سوق مكة ٠ وكانت سمراء تمر فى الأسواق تمنع الغش التجارى ٠ وتأمر الناس بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وكان فى يدها سوط تضرب به من يغش فى البيع والكيل أى انها كانت أيضا تنفذ الأحكام وهذا المنصب هو مايسمى فى الشرع (قضاء الحسبة) ٠

وقد تولت المرأة المسلمة الكثير من المناصب القيادية فى عصور ازدهار الاسلام ٠٠ فقد عين الخليفة الحكم بن الناصر الأندلسى امرأة تدعى لبنى على رئاسة ديوانه ٠٠ وكانت تتولى كتابة رسائله الى الولاة والمسئولين ٠٠ وكانت كاتمة أسراره ومديرة أعماله : وقد اشتهرت بالبلاغة والشعر والرياضة والعلوم والفنون ٠

وفى الشرع أنه يجوز للمرأة أن تتولى جميع الأعمال التى يتولاها الرجل وان كانوا قد اختلفوا على وظيفة واحدة هى رئاسة الدولة : « قال الطبرى » يجوز أن تكون المرأة حاكما على الاطلاق فى كل شىء فمن رد قضاء المرأة شبهه بقضاء الامامة الكبرى ٠ ومن أجاز حكمها فى الأموال فتشبيها بجواز شهادتها فى الأموال ٠ ومن رأى حكمها نافذا فى كل شىء قال : ان الأصل هو ان كل من يتأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز الا ما خصصه الاجماع من الامامة الكبرى ٠

وقرر ابن حزم «وجائز ان تلى المرأة الحكم وهو قول ابى

حنيفة وقد روى عن عمر أنه ولى الشــفاء • امراة من قومه السوق فان قيل قال الرسول « لن يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة» قلنا انما قال ذلك فى الأمر العــام الذى هو الخــلافة برهان ذلك قوله (علية الصلاة والسلام) (والمرأة راعية فى مال زوجها وهى مسئولة عن رعيتها) وقد اجاز المالكيون ان تكون وصــية ووكيلة وقالوا لم يرد نص يمنعهــا تولى هذه الأمور •

٢ ـ الاختلاط فى الزيارات العائلية ومائدة الطعام :

جاء فى صــحيح مســلم عن انس ان جــارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فارسيا وكان يجيد صنعة الطعام • فصنع طعاما للرسول ثم جاء يدعوه فى بيته وزوجه عائشة جالسة بجواره فقال الرسول وهذه ؟ وأشار الى عائشة فقال الفارسى لا •• فقال الرسول ، لا • فعاد يدعوه فقال الرسول وهذه •• وأشار الى عائشة فقال : لا فقال الرسول لا •• وذهب الرجل ثم عاد يدعوه فقال الرسول وهذه ؟ لعائشة (١) •• قال : نعم فقاما يتدافعــان حتى أتيا منزل الفــارسى» أخرجه مسلم والنسائى •

ومعنى هذه القصة ان الرجل الفارسى جاء الى الرسول يدعوه الى الطعام والرسول أصر على اصــطحاب زوجته الى الوليمة •• ولكن الرجل كان قد اعد طعاما لشخص واحد ، فرفض الرسول الدعوة مرتين الا ن تكون زوجته معه •• وفى المرة الثالثة كان الرجــل قد عد طعــاما يكفى الاثنين فقبل الرسول وزوجته الدعوه •

ولهذه القصــة مغزى كبير فى موضــوع الاختلاط ••

---

(١) صحيح مسلم

فالرجل الغريب قد دخل على الرسول فى بيته وزوجته جالسة معه لم تغادر المجلس والرسول يصر على اصطحاب زوجته معه الى الزيارة العائلية ·· والجلوس على مائدة الفارسى ، وكان بعض الصحابة اذا عزم ضيفا فى بيته على الطعام طلب من زوجته أن تأكل معهم ·· وفى ذلك يقول :

« آكلى الضيف فان الضيف يستحى أن يأكل وحده» ·

وكان النساء ·· يحضرن الطعام على مائدة الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاركته طعامه فقد جاء فى صحيح مسلم عن حذيفة «كنا اذا حضرنا مع النبى (١) صلى الله عليه وسلم طعاما لم نضع ايدينا حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع يده وانا حضرنا معه طعاما فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها فى الطعام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها وقال «ان الشيطان يستحل الطعام ان لايذكر اسم الله عليه وانه جاء بهذه الجارية فأخذت بيدها» ثم ذكر اسم الله وأكل فأكل الآخرون (كتاب الاطعمة) ·

وجاء فى الحديث عن عائشة أنها قالت كان بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام · فقال من ترضين أن يكون بينى وبينك أترضين بأبى عبيده بن الجراح ؟· قلت : ذلك رجل هين لين (٢) يقضى لك ··

قال أترضين بأبيك ؟ قلت نعم · فارسل الى أبى بكر فجاء · فقال اقصصى !! قلت : بل اقصص أنت · فقال : هى كذا وكذا ·· فقلت : اقصد (أى قل الحق) فرفع أبو بكر يده فلطمنى وقال : تقولين يابنت أم رومان اقصد من يقصد

---

(١) صحيح مسلم « كتاب الاطعمة »

(٢) تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٢٧١٦ ·

اذا لم يقصد رسول الله ؟٠ فجعل الدم يسيل من أنفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا لم نرد هـذا : وجعل يغسل الدم بيده من ثيابى ويقول لى : أرأيت كيف أبعدك الله منه ٠

والمعنى الذى يهمنا هنا أنه صلى الله عليه وسلم يعرض على زوجته أن يكون الحكم رجل غـريب هو أبو جبيدة وأن يحضره الى البيت للحكم بينه وبين زوجته ٠

وهذا هو عمر بن الخطاب الذى اشتهر بالغيرة الشديده على النساء وشدته عليهن ٠ يدعو امـرأته لتاكل مع الضيف الغريب ٠ فقد روى الطبرى (١) «جاء رسـول من الأقاليم ليقابل عمرا ٠٠ فدعاه عمر الى الغذاء فى بيته فدخل فنادى زوجته «ياأم كلثوم ٠٠ غداءنا» فأخرجت اليه خبزة بزيت فى عرضها ملح لم يدق ٠٠ قال ٠٠٠ ياأم كلثوم آلا تخرجين الينا تاكلين معنا من هذا ؟ قالت : انى أسمع عندك حس رجل ولا أراه من أهل البلد ٠ قال : نعم قالت : لو أردت أن أخرج الى الضيف لكسوتنى كما كسا الزبير امرأته وكما كسا طلحة امرأته»

فقال لها : أما يكفيك أن يقال أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر ٠ قالت مايغنينى ذلك شيئا فقال للضيف : كل فلو كانت راضية لأطعمتنا أطيب من هذا» ٠

ومغزى القصة أن عمر يدعو زوجته أم كلثوم لتحيـة الضيف الغريب والأكل معه ٠ وهى ترفض لا لأن الاختلاط محرم ولكن لانها لاتمتلك ثوبا جديدا يليق بهذه المناسبات ٠

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٥ صـ ٢٧١٦ ٠

وفى عام الرمادة (١) عندما ظهرت المجاعة ٠٠ أقام عمر ابن الخطاب الخيام لقبائل المسلمين الذين جفت أراضيهم ٠٠ وأقام مطابخ ضخمة يشرف عليها نساء الصحابة وفى مقدمتهن امرأته ٠٠ وكان النساء يطهين الطعام ويقدمنه بأيديهن الى المسلمين ٠٠ وكان عمر وزوجته لاياكلان الا مع عامة الناس حتى لايظن أحد أنه قد اختص نفسه بطعام خيرا مما يأكله سواد المسلمين ٠

وجاء فى الاصابة (٢) أن عمر بن الخطاب خرج يوما لأمر هام ومعه نفر من الصحابة فظهرت له فى الطريق امرأة ٠٠ فاستوقفته فوقف فجعل يحدثها وتحدثه حتى أطالت الحديث والناس ينتظرون ٠٠ فقال له رجل منهم (ياأمير المؤمنين حبست الناس على هذه المرأة ؟) فقال ويلك أتدرى من هى ؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات هذه خولة بنت مالك بن ثعلبة التى أنزل الله فيها قوله تعالى **«قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها» الآية ٠**

الاختلاط فى المناسبات الاجتماعية واللهو البرىء :

وأهم هذه المناسبات الأعياد الدينية وحفلات الخطوبة والزواج ، وحفلات الترفيه واللهو البرىء ٠ وولائم الطعام ٠

فقد حرص الاسلام على أن تشارك النساء فى كل هذه المناسبات لاداء دورهن الاجتماعى الانسانى بجوار الرجال ٠٠ وفى ذلك تقول أم عطية «أمرنا النبى (صلى الله عليه

---

(١) عبقرية عمر للعقاد ٠
(٢) الاصابة حـ ٨ خوله بنت مالك ٠

وسلم) أن نخرج في العيدين العواتق وذوات الخدور وأمر الحيض أن يعتزلن مصلى المسلمين» رواه مسلم فى باب اباحة خروج النساء المصلى وشهود الخطبة ، وفى رواية أخرى لها قالت «والحيض يخرجن فيكن خلف الناس يكبرن على الناس»، وفى هذا خير دليل على أن المرأة تشارك الى جوار الرجل فى المسجد مالم تكن حائضا فتتأخر عن الرجال ولاتصلى ٠

وللمرأة المسلمة أن تحضر الحفلات الترفيهية البريئة الى جوار زوجها وأسرتها ٠ فعن عائشة قالت «جاء الأحباش يزفنون (أى يرقصون) فى يوم عيد فى المسجد ٠ فدعانى النبى (صلى الله عليه وسلم) فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر الى لعبهم حتى كنت أنا التى انصرف عن النظر اليهم» رواه مسلم ٠

وفى رواية أخرى عن أبى هريرة قال «بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرابهم اذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى الى الحصباء يحصبهم بها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعهم ياعمر (رواه مسلم والبخارى) ٠

ويضيف ابن خليل فى مسنده أن الرسول قال لهم مشجعا : ـ

«دونكم يابنى أرفدة حتى تعلم اليهود والنصارى أن فى ديننا فسحة» رواه أحمد ٠

ومغزى هذه الأحاديث ان المجتمع الاسلامى كله رجالا ونساء كانوا يحضرون هذه المناسبات الاجتماعية وليس بين الرجال والنساء فاصل ولا مانع ولا توضع النساء فى أماكن منعزلة كما هو فى عصرنا اليوم ٠

وكان الرسول صلى الله على وسلم يحضر فى بيته حفلات الطرب واللهو البريىء ويحضرها معه اصحابه فمن عائشة : ان ابا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عيد · وعندها جاريتان تغنيان بغناء بغاث (اى من أغانى الانصار) فقال ابو بكر « امزمارة الشيطان عند رسول الله ؟ » فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «دعهما يا ابا بكر فلكل قوم عيد وهذا عيدنا » (اخرجه البخارى فى باب العيدين وابن ماجه (كتاب النكاح) والنسائى ومسلم فى صلاة العيدين »)

وروى البخارى عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت : جاء النبى صلى الله عليه وسلم حين بنى على فدخل وجلس على الفراش فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف وهو يسمع حتى قالت احداهن «وفينا نبى يعلم مافى غد» (فلم يعجب الرسول أن يمدح فقال لها «دعى هذا وعودى الى الذى كنت تقولين») ·

وروى مسلم فى كتاب فضائل الصحابة : « ان عمر بن الخطاب استأذن على رسول الله وعنده نساء من قريش يكلمنه » ويستكثرنه عالية أصواتهن فلما استأذن عمر قمن يتبادرن الحجاب فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك · ·فقال عمر : اضحك الله سنك يارسول الله · فقال الرسول : عجبت من هؤلاء لما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب · قال عمر : فأنت يارسول الله أحق أن يهبن ثم قال عمر لهن : أى عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله · قلن : نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله (رواه مسلم)

وكان النساء يحضرن مجلس الرسول فى حضور أصحابه

٠٠ فمنهن من تسأله فى امــر من آمــور الدين لكى تتفقه وتتعلم ٠٠ ومنهن من تشكو اليه هما من همــوم الدنيا ٠٠ «أو تعرض عليه مشكلة عائلية ليعينها على حلها ٠٠ وقصة المرأة التى جاءت اليه لتجادله فى أمر زوجها معروفة ٠٠ وهى التى أنزل فيها القرآن قوله تعالى «قد ســمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما» وقد سميت السورة باسمها (المجادلة) تكريما لها ٠

٠ ومن نساء المسلمين من كانت تأتى الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو جالس بين أصحابه وتعرض نفسها للزواج منه : فقد جاءت امــرأة وقالت : يارســول الله جئت أهبك نفسى ٠ فنظر اليها الرسول صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رأسه ٠٠ فلما رأت المرأة أنه لم يقض شيئا فيها جلست فقام رجل من أصحابه فقال «يارسول الله ٠٠ ان لم يكن لك حاجة بها فزوجنيها فزوجها رســول الله صلى الله عليه وسلم له (رواه مسلم) ٠

وفى الشرع يجوز للمرأة أن تجلس مع ضيوف زوجها وأن تخدمهم فقد روى مسلم والبخارى «لما أعرس أبو أسيد الساعدى دعا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فما صنع لهم طعاما ولا قدم اليهم الا امرأته أم أسيد» ٠

وقد ظلت هذه التقاليد معمولا بها بعد وفاة الرســول صلى الله عليه وسلم فى شتى عصور الاسلام ٠ فعن عامر بن سعد رضى الله عنه : دخلت على قرظة ابن كعب وابن مسعود الأنصارى فى عرس فاذا جوارى يغنين فقلت : أنتما صاحبا رسول الله ومن أهل بدر يفعل هذا عنــدكم ٠ فقالا : «ان شئت فاسمع معنا وان شئت فاذهب فقد رخص لنا فى اللهو عند العرس : رواه النسائى والحاكم ٠

وحفل الزواج :

يعتبر من أكثر المناسبات أهمية للاختلاط البرىء وكثيرا مايؤدى التعارف فى هذه المناسبة الى خطوبات جديدة ٠

فقد سن الرسول صلى الله عليه وسلم لحفل الزواج أن يلهو فيه الجميع نساء ورجـالا ويستمتعون بالغناء وضرب الدفوف ٠٠ وقد زفت عائشة احـدى قريباتها الى رجل من الأنصار فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم «ياعائشة ماكان معكم لهو فان الأنصـار يعجبهم اللهو» رواه أحمد والبخارى وفى رواية أخرى سألها «أهديتم الفتاة ؟ (أى هل زففتموها) قالت : نعم ٠ قال : أرسلتم معهـا من يغنى ؟) قالت : لا ٠ قال : ان الأنصار قوم فيهم غزل ٠ فلو بعثتم معها جـارية تضرب بالدف وتغنى» (١) ٠

وليس شرطا أن يكون المغنى فى تلك المناسبات محترفا مأجورا بل يمكن أن يكون من أهل العروسين وممن يشاركونهم فى الفرح وهذا أفضل وقد جاء فى وصف عائشة للنسـوة اللاتى كن يغنين فى دار رسول الله صـلى الله عليه وسـلم مايفيد أنهن غير محترفات للغناء ٠

ولابأس باستعمال الآلات الموسيقية بجميع أنواعها ٠٠ فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (فصل الحلال من الحرام فى ـ الزواج الدف والصـوت) رواه الخمسـة وبديهى أن ماينطبق على الذف هو نفسه ماينطبق على كل آلة موسيقية أخرى من قبيله مثل العود والقانون والكمنجة والمزمار ٠

وكذلك يحل للمحتفلين الاستمتاع بشتى أنواع التسلية البريئة مثل المنلوجات والتمثيل والرقص المباح على نحـو

---

(١) من كتاب الاسلام وقضايا المرأة المعاصرة : البهى الخولى ص ٦٣ ـ دار القلم

ماكانت الاحباش ترقص على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن ذلك الفلكلور) وفى ذلك كله يقول الأستاذ البهى الخولى ·

«كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكره أن يمر حفل الزفاف صامتا أخرس لا اعلان فيه ولا حس» · ثم يقول «ولا فرق أن يكون المغنى رجلا أو امرأة فتى أو فتاة» كل هذا طمعا فى حدود ما أمر الله به من الالتزام بالقول المعروف» والآداب الاسلامية وصيانة حرمات الله ·

الاختلاط فى الطريق العام والمواصلات العامة :

لقد وضع الاسلام آدابا عامة للملاقة بين المرأة والرجل الأجنبى عنها ضمن آداب الطريق فى الاسلام

فمن هذه الآداب أن الرجل اذا مر بنسوة يقفن فى الطريق فله أن يبدأهن بالسلام ولو لم يكن يعرفهن ·· فمن أسماء بنت يزيد قالت «مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا» (رواه ابن ماجه فى باب الأدب) · وهذه القاعدة تنطلق على المرأة أيضا اذا مرت على رجال تعرفهم وأرادت أن تسلم ·

والمصافحة باليد ظاهرة حضارية وانسانية واجتماعية مستحبة · وبعض المبتدعين فى الدين يحاولون تحريم المصافحة بين الرجل والمرأة وهذا أمر مخالف للشرع ·· فقد اتفقت جميع المذاهب على أن مصافحة المرأة لاتنقض الوضوء مالم يكن اللامس (١) يقصد الشهوة وهو أمر لايحدث فى المصافحة العامة فى الطريق · ويرى الحنفية أن اللمس بالايدى

---

(١) انظر الفقه على المذاهب الأربعة باب (لمس المرأة : فى نواقض الوضوء)

لاينقض الوضوء فى كل الأحــوال ٠ أما استشهادهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «انى لا آصافح النساء» فذلك عند البيعة حيث تطول المصافحة ٠

ومن آداب الاسلام أن الرجل اذا كان واقفا مع امرأة يحدثها ومر به صديق له فعليه أن لايدير له وجهه أو يحاول التخفى عنه بل يبادله التحية والسلام ولاباس أن يعرفه بها

فقد روى مسلم عن صفية بنت حيى زوجة الرسول (كان النبى صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت لانقلب فقام معى ٠ فمر بنا رجلان من الانصار فلما رأيا النبى صلى الله عليه وسلم آسرعا ٠ فناداهما النبى صلى الله عليه وسلم : **على رسلكما «انها صفية بنت حيى» فقــالا** سبحان الله يارسول الله ٠ قال «ان الشــيطان يجــرى من الانسان مجرى الدم ٠ وانى خشيت أن يقــذف فى قلوبكما شيئا» فالمقصود بهذا التعريف هو ازالة الوحشة الى جــانب ازالة الشك ٠

ومن آداب الطريق العام أيضا أن الرجل اذا كان لديه مكان زائد فى ســيارته أو مركبته ورآى امــرأة تنتظر فى الطريق أن يتوقف لها شرط أن لاتكون هناك خلوة أو مجال للفتنة كأن تكون معــه عائلته أو يكون فى مركبــة عــامة (كالاتوبيس) أو تكون المرأة ممن لايشتهى وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم **«من كان له فضل ظهر فليعد (١) به على من لا ظهر له» ٠**

وللمرأة المسلمة أن تركب المواصلات العــامة كسيارة الأجرة أو الترام أو الاتوبيس وأن تركب بجوار الرجل طالما

---

(١) رواه مسلم ٠

أمنت الشر أو السوء عن أسماء بنت أبى بكر قالت «كنت أنقل النوى من أرض الزبير وهي ثلثى فرسخ فجئت يوما والنوى على رأسى فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر (١) من أصحابه فدعانى وقال «اخ ٠٠ اخ» ليحملنى على راحلته خلفه ٠٠ فاستحييت» رواه مسلم ٠

وقد أجاز الاسلام للمرأة المسلمة ان تقف فى الطريق لكى تتحدث مع الرجل الأجنبى عنها اذا كان فى حديثها هذا عملا من أعمال البر والمروءة والمساعدة ٠٠ فقد جاء فى صحيح مسلم عن أسماء بنت أبى بكر قالت : ـ «جاءنى رجل فقال : ياأم عبد الله انى رجل فقير أردت أن أبيع فى ظل دارك ٠ قالت : انى ان رخصت لك أبى ذلك الزبير ٠ فتمال فاطلب الى الزبير شاهد فجاء فقال ياأم عبد الله ٠٠ انى رجل فقير أردت أن أبيع فى ظل دارك ٠٠ فقالت : مالك بالمدينة الا دارى ؟٠

فقال لها الزبير ـ مالك أن تمنعى رجلا فقيرا يبيع فكان يبيع الى أن كسب ٠

فهذه الحادثة البسيطة تدلنا على مشاركة المرأة المسلمة فى الحياة الاجتماعية ودورها الايجابى فى عمل الخير والمعروف ٠

الاختلاط فى مهنة الطب والتمريض :

لقد كان لظهور دعوة الاسلام فضل كبير فى تطور مهنة الطب والتمريض فى الجزيرة العربية وخاصة بين النساء ٠٠ وذلك بفضل تعاليم الاسلام أولا التى شجعت المرأة على هذه

---

(١) رواه مسلم ٠

المهنة لما وهبها الله من العطف والحنان والصبر والرقة ٠٠٠ هذا الى جانب كثرة المعارك والقتال واحتياج المسلمين الى جهود الرجال في الحرب فتركوا الطب والتمريض للنساء ٠

وقد اشتهر في هذه المهنة عدد كبير من النساء وفي مقدمتهم «رفيدة (١) الأنصارية» التي ورثت الطب عن أبيها منذ الجاهلية ٠٠ فلما أسلمت جعلت لها خيمة في مسجد الرسول سميت (عيادة رفيده) وكانت تداوى الرجال والنساء معا في وقت السلم والحرب : وقد جاء في كتب السيرة أن سعد بن معاذ زعيم الأنصار قد أصيب بسهم في يوم الخندق فقال الرسول لاصحابه«انقلوه الى خيمة رفيده» وكان الرسول رغم مشاغله أثناء الحصار يزوره عدة مرات كل يوم٠ ولما استمر النزيف من جرحه اضطرت رفيده أن تكوى الجرح لايقاف النزيف ٠

فقد صحبت رفيده الرسول في كل غزواته ٠٠ كما قامت على تدريب فريق من نساء الصحابة على الاسعاف والتمريض (٢) في الحرب فكن يرافقن جيش الرسول ٠

وقد فرض الرسول للممرضة نصيبا من الغنائم مثل(٣) الرجل المجاهد وقلدهن قلادات تشبه النياشين التى تعطى في عصرنا هذا لأبطال الجهاد الوطنى ٠٠ وكان صلى الله عليه وسلم يضع القلادة بيده في أعناقهن ٠٠ فكانت الواحدة منهن تعتز بهذه القلادة وتوصى أن تدفن معها بعد موتها ٠

ومن شهيرات النساء في هذا الميدان أمية (٤) بنت قيس

---

(١) أسد الغابة جـ ٧ وطبقات ابن سعد جـ ٨ ٠

(٢) لمزيد من الاطلاع على حياة رفيدة اقرأ مسرحية « رفيدة » أول ممرضة فى الاسلام للمؤلف « دار القلم » ففيها تاريخ حقيقى ٠

(٣) سيرة بن هشام

(٤) المصدر السابق ٠ واسد الغابة جـ ٧ ٠

الغفارية التى جاء فى كتب الحديث قولها : ـ أتيت رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من بنى الغفار فقلنا : يارسول الله قد أردنا أن نخرج معك الى وجهك هذا (وهو يسير الى خيبر) فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : على بركة الله ·

ومنهن أم سنان الأسلمية التى جاءت الرسول صلى الله عليه وسلم قبل احدى المغازى فقالت : يارسول الله أخرج معك فى وجهك هذا ·· احرز السقاء وأداوى المريض والجريح ان كانت حراح · وأبصر الرحل ·

فقال لها صلى الله عليه وسلم : ـ أخرجى على بركة الله · فان لك صواحب قد كلمننى وأذنت لهن · من قومك ومن غيرهم فان شئت فسع قومك · وان تشئت فمعنا قلت : معك يارسول الله ·· قال : فكونى مع أم سلمة زوجتى ·· قالت فكنت معها : ومنهن أم أيمن مولاة الرسول وحاضنته وقد حضرت أحدا ·

مهام الممرضة فى الحرب :

وكان فريق الاسعاف والتمريض فى الحرب ينقسم الى ثلاثة مجموعات ـ مجموعة تقوم بالاسعاف فى الخطوط الأولى للقتال · فكن يضمدن الجراح ثم ينقلن الجـرحى أصـحاب الجروح الكبيرة الى الصفوف الخلفية للجيش حتى لاتدهسهم سنابك الخيل وكان هـذا العمل البطولى يحتـاج الى خبرة بالتمريض الى جانب المهارة بالفروسية والسلاح وكان نقل الجرحى على نقالات وتحت وابل من النبال ·

الفريق الثانى كان عمله فى خيام الاسعاف خلف خطوط القتال حيث تقوم الطبيبات بالاسعاف والجراحة ··· وكانت

الجراحة فى تلك العصور عبارة عن عمليات نزع السهام أو الكى لايقاف النزيف الشديد وقد يحتاج الأمر الى البتر ٠٠ وقد تدربت نساء الصحابة على ذلك كله

الفريق الثالث كان عمله دفن الموتى ٠ وكان هذا الدفن يتم اولا فى المدينة حيث ينقلن الموتى على الجمال حتى مقابر المدينة ٠٠ كماحدث فى شهداء بدر ٠

وفى أثناء معركة احد بينما كانت هند بنت عمرو بن حرام تنقل جثمان ثلاثة شهداء فى المعركة على ناقتها ٠ وهم زوجها عمرو بن الجموح وابنها خلاد بن عمرو وأخوها عبد الله ٠

وقد استشهد الثلاثة فى نفس اليوم ٠٠ اذ بالناقة ترفض السير كلما وجهتها نحو المدينة ٠ وتحاول العودة نحو المعركة فى احد واخيرا وهى فى حيرتها جاءها موفد من قبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) يبلغها ان الوحى قد نزل على الرسول بأن شهداء المعارك يدفنون فى أرض المعركة نفسها ٠ فعادت بهم الى احد ٠

وفى الشرع : أن الشهيد (١) لايغسل ولايصلى عليه وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تغسلوهم فان كل جرح وكل دم يفوح مسكا يوم القيامة أما حكمة ترك الصلاة عليهم لان الصلاة شفاعة للميت واستغفار لذنبه اما الشهيد فهو فى غنى عن الشفاعة بل هو يشفع لغيره كماان ذنوبه تغفر له كيوم ولدته امه ٠

وهناك أيضا قاعدة هامة فى مجال الطب والتمريض وهى أنه : يجوز للمرأة ـ ان تداوى الرجل الاجنبى ويجوز للرجل

---

(١) فقه السنة ، للسيد سابق ٠

ان (١) يداوى المرأة ويجوز للمرأة المعالجة عند الضرورة ان تنظر منه ماتدعو الحاجة الى النظر اليه ولو كان عورته ٠ وكذلك بالنسبة للرجل الذى يعالج المرأة ٠

الاختلاط فى العمل السياسى والقيادى :

العمل السياسى بالمفهوم الاسلامى معناه الاهتمام بشئون الرعية المسلمة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٠ والعمل على رفعة شأن المسلمين ورفع الظلم عنهم ٠ وبهذا المفهوم يكون العمل السياسى فريضة على كل مسلم ومسلمة يستويان فيه وذلك الآية الكريمة ٠

« والمؤمنون والمؤمنات ٠ بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » « التوبة » ٠

وعملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « **من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم**» رواه البيهقى ٠

ومنذ البشائر الأولى للدعوة حصلت المرأة على الرسالة الى جانب الرجل داعية الى الخير والاصلاح ٠ مجاهدة ضد الشر والباطل ٠٠ متحملة فى سبيل ذلك نصيبها من ضريبة الخدمة العامة ٠

حمل الرسالة :

فكان من اوائل من حصل الرسالة وبشر بها وعذب فى سبيلها النساء وهذه سمية أم عمار بن ياسر كان بنو مخزوم اذا اشتدت الظهيرة والتهبت الرمضاء خرجوا بها وابنها وزوجها الى الصحراء وألبسوهم دروع الحديد وأهالوا عليهم الرمال المتقدة واخذوا يرضخونهم بالحجارة حتى تفادى

---

(١) فقه السنة ، للسيد سابق ٠

الرجلان العذاب باظهار الكفر والردة باللسان فقط وفيهما نزل قوله تعالى « الا من أكــره وقلبه مطمئن بالايمان » أما سمية فقد صبرت على العذاب ورفضـــت النطق بكلمة الكفر لتنقذ (١) روحها حتى استشهدت ·

وممن حمل الرسالة أيضا ذات النطاقين اسماء بنت ابى بكر التى كانت تسير كل ليلة عدة كيلو مترات حاملة الاخبار والزاد للمهاجرين محمد (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه فى الغار اثناء الهجرة ·

ومن نساء الصحابة منهاجرت الى الحبشة (٢) فىالهجرة الأولى والثانية ومنهن من هاجرت الى المدينة فرارا بدينهن من الفتنة ·· ولم يكن كل من هؤلاء المهاجرات معها رجل يقف بجانبها ·· بل منهن من اسلمت دون أهلها ففارقتهم وحيدة مهاجرة فى سبيل الله · فقد أسلمت أم كلثوم بنت عقبة دون رجال بيتها وكانوا من سادات قريش · فلما ضـــيقوا عليها الخناق هاجرت وحدها الى رسول الله فى المدينة · وهنالك تزوجت زيد بن الحارثة ثم اعقبتها فى الهجرة أمها وتركت شباب اهل بيتها وكهولهم فى ضلالتهم يعمهون ·

ولم يكن هؤلاء النسوة جبناء أو ضعاف العزيمة بل كانت منهم اهل الخطابة والبلاغة ·· وقوة الحجة والمنطق ·· وهذه أسماء بنت عميس (٣) لما قدمت من هجرة الحبشة الى المدينة لقيها عمر بن الخطاب وقال لها ممازحا : يا حبشية ·· سبقناكم بالهجرة ·

فغضبت منه وقالت له : أى لعمرى لقد صدقت !! كنتم

---

(١) السان العيون ج ١ ص ٣١٩ ـ وسيرة بن هشام ·
(٢) الاصابة ج ٨ ص ٢٧٥ ·
(٣) كتاب الطبقات الكبيرة ج ٧ ·

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ويعلم جاهل ·· وكنا البعداء الطــرداء !! اما والله لآتين رســول الله فاذكرن له ذلك ·· فاتت النبى وقالت له :

يا رسول الله ·· ان رجالا يغمزون علينا ·· ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين · فتبسم لها الرسول وقال لها : بل لكم هجرتان : هاجرتم الى ارض الحبشة ونحن مرهثون بمكة ·· ثم هاجرتم بعد ذلك الى · فانظر كيت قامت المرأة نيابة عن مهاجرى الحبشة جميعا وعددهم اربعة وثمانون رجلا فعرضت قضيتهم وهم ساكتون واخذت لهم حقهم ومنهم كبار الصحابة واهل البلاغة ·

وعندما استتب الأمر بالمسلمين فى المدينة ·· وبدأت الآيات والتعاليم السماوية تنزل لتنظيم هذا المجتمع أعطت للمرأة من الحقوق مالم تحلم به من الأمم ··· وبرزت مواهب المرأة المسلمة فى الصدارة هذا المجتمع المثالى · وظهر منهم الخطيبات البليغات المتحدثات اللبقات ·

خطبة النساء امام رسول الله :

وهذه أسماء بنت يزيد الأنصارية كانت تلقب (خطيبة نساء العرب) وقد جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس بين أصحابه وقالت : «بأبى أنت وأمى يارسول الله ·· أنا وافدة النساء اليك !!

ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنســاء كافة ·· فآمنا بك وبالهك · انا معشر النساء محصــورات مقطورات ·· قواعد بيوتكم وحوامل أولادكم ·· وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ·· وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز

وجل • وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا ، أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثــوابكم وربينا لكم أولادكم • أفنشارككم فى هذا الأجر والخير ؟•

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه كله •• ثم قال : هل سمعتهم مسالة امــرأة قط أحسن من مسالتها فى أمر دينها من هــذه ؟•• قالوا يارســول الله • ماظننا ان امرأة تهتدى الى مثل هذا !!

فالتفت النبى اليها وقال لها : ـ

افهمى (١) ايتهــا المراة •• واعلمى مــن خلفك من النساء • ان حسن تبعل المراة لزوجها • وطلبها مرضاته •• واتباعها موافقته •• يعدل ذلك كله (رواه الشيخان) •

فهذه الحادثة على بساطتها •• تعادل مايحدث اليوم فى أكثر الدول العصرية ديمقراطيــة •• حين تقف المرأة فى برلمان الأمة وتسال عن حقوق المرأة وتطالب بها •

والاسلام يجيز للمرأة كل أنواعالعمل السياسى والقيادى فى الدولة (ماعدا) الامامة الكبرى أى الخلافة فلها الحق فى انتخاب الخليفة ـ ولها أن تعترض على بيعته •• ولها الحق فى الوظائف العامة فى الدولة كلها بدون (٢) استثناء •• ولها أن تبدى رأيها فى كل شئون ادارة الدولة • بما فى ذلك نقد تصرفات الحاكم والوزراء ولهــا أن تطــالب بتمــديل القوانين واللوائح اذا كانت فى غير صالحها أو صالح الأمة •

---

(١) رواه الشيخان •

(٢) بعض المذاهب يستثنى القضاء لانه من الامامة وبعضها يعتبره امامه صغرى لها حق فيه ـ كذلك يرى بعض المجتهدين حق المراة فى الامامة الكبرى أيضا •

فى انتخاب الخليفة :

لقد كان رسول الله صلى عليه وسلم يأخذ البيعة من نساء المسلمين الى جانب أخذ البيعة من الرجال • وفى بيعة العقبة التى تمت قبل الهجرة كان وفد الأنصار ثلاثة وسبعون رجلا، ومعهم امرأتان هما نسيبة بنت كعب ، المازنية (أم عمار) وأسماء بنت عمر السلمية وكنيتها (أم منيع) والاولى صاحبة البطولات فى الحرب فى احد وخيبر واليمامة والثانية هى أم معاذ بن جبل الذى أصـبح من أعـلام المسلمين وفقهائهم وكانت البيعة تنص : «أبايعكم (١) عـلى ان تمنعونى ممـا تمنعون منه نساءكم وابناءكم » •

وقد رأينا فى (باب غزو (٢) النســاء وقتالهم) كيف أوفت كل منهما بعهدها لله ورسوله •• ودافعن عن الرسول فى أحد عندما تخلى عنه الرجال وقدمن صدورهن وصــدور أولادهن وأزواجهــن لتحمى قائــد الدعــوة من النبــال والرماح •

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مارست المرأة حقها الانتخابى فى اختيار الخليفة •• وقد اعترضت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافة أبى بكر ولم تبايعه •• لأنها كانت ترى أن زوجها على أحق بالخلافة منه • ولأنه حرمها من ميراث ابيها ورده الى بيت مال المســلمين • عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (نحن معشر الأنبياء لانورث ماتركناه فهو صدقة» •

وقد ظلت على اعتراضها عليه حتى وفاتها •

---

(١) سيرة ابن هشام (بيعة العقبة) •
(٢) انظر صحيح البخارى •

كذلك اعترضت عائشة على سياسة على وخرجت تواجه جيشه فى معركة الجمل بجيش من كبار الصحابة بينهم الزبير وطلحة • واذا كان المؤرخــون قد أجمعوا على أنهــا أخطأت بمحاربتها الامام على •• فلم يقل احد من فقهاء المسلمين بعدم أحقيتها بالادلاء برأيها فى الخليفة •

وفى نفس الوقت فقــد وقف فى صــف عــلى كثير من النساء منهن بكارة الهلالية وسودة ابنة عمار وأم سنان •

الرأى والمشورة السياسية :

قد لانجد أمثلة كثيرة على الوظائف السياسية والرسمية التى تقلدتها المرأة فى صــدر الاســلام وذلك لان الدولة الاسلامية فى نشأتها كانت بسيطة وعلى الفطرة ولم تكن لديها الوظائف التقليدية بمســمياتها كالدول العــريقة •• ولكن المرأة المسلمة قد لعبت دورا خطيرا فى الســياسة الاســلامية كزوجة وأم لايقل عن أعلى الوظائف الرسمية وذلك عن طريق المشورة والرأى •

فقد أخذ المســلمون عن نبيهم الســنة التى اتبعها فى احترام رأى المرأة كزوجة وأم وزميلة فى الجهاد ••• وكان ذلك يتعلق بأخطر شئون ســياسة الدولة كقضــايا الحــرب والسلم والصلح •

ففى صلح الحديبية كان لزوجة الرسول صلى الله عليه وسلم أم سلمة رأى هام حسمت به خــلافا كاد أن يدب بين المسلمين حول شروط الصلح وتقديرا من الرسول لحسن رأيها قال لها صلى الله عليه وسلم «حبذا رأيك ياأم سلمة • لقد نجى الله المسلمين بك (١) من عذاب أليم» •

---

(١) رواه الشيخان •

وكان الخلفاء الراشدون يحرصون على مشورة نسائهم قبل اصدار الكثير من التشريعات والقوانين • فقد أراد عمر ابن الخطاب أن يصدر تشريعا بحيث لايغيب الجندى بمقتضاه عن أسرته فى الحرب أكثر من أشهر معـدودة • فذهب الى ابنته الشابة المتزوجة يسألها كم تصبر المرأة على بعد زوجها عنها •• فلما رأى أنها استحيت ولم تجبه •• قال لها «أجيبى يابنية وأنقذى أباك من عذاب أليم يوم القيامة !! وذلك ان اصـدار أى تشريع فى الدولة مسـئولية كبرى أمـام الله والرعية • فقالت «تصبر شهرين ياأمير المؤمنين وتجالد نفسها بعد الثالث • وتفقد صبرها بعد الشهر الرابع» فأصدر قرارا أن لايغيب محارب عن أسرته أكثر من أربعة أشهر •

وكان عثمان بن عفان يحترم رأى زوجتـه نائلة بنت الفرائضة ويستمع الى نصحها •• فكانت تنصـحه أن يلجم بنى أمية عن ظلم الناس وجاء أحدهم يطلب منه ألا يستمع لرأيها فقال له : هى أفصح لى منك !!

معارضة الحكومة :

والى جانب ابداء الرأى والمشورة فمن حق المرأة المسلمة معارضة الحكومة ورد الحاكم اذا أخطـأ •• ومن ابرز تلك الأمثلة قصة المرأة التى سمعت عمر بن الخطاب وهو يخطب فى المسجد ويعرض تشريعا جديدا يريد أن يسنه حول تحديد مهور النساء (١) •• فتصدت له وهو يتكلم •• وقالت : ليس لك ذلك ياعمر •• قال : لم ياأمة الله •• قالت : لأن الله

(١) بلاغات النساء ص ٢٧ ـ ٢٩ •

تعـالى يقـول : «وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخـذوا منـه شيئا» ٠

فأفاق عمر الى أن هذا التشريع الذى يقترحه يتعارض مع نص من نصوص القرآن الذى هو (دستور الأمة) فتراجع فى الحال وأعلن قولته التى مازالت تدوى حتى يومنا هذا : أخطأ عمر وأصابت امرأة !! فأصبحت دليلا على أن الرجل قد يخطىء وتكون المرأة أصوب منه رأيا وخاصة فى القضـايا المتعلقة بها ٠٠

ثم جاءت خلافة عثمان وماصاحبها من هفوات وأخطاء فكان الصحابة يلجأون الى نساء النبى صلى الله عليه وسـلم لتنبيهه الى أخطائه لعله يستمع اليهن ٠

وهذه أم سلمة أم المؤمنين تنصح عثمان وتعظه قائلة :

«يابنى (١) مالى أرى رعيتك عنك نافرين ٠ ومن جنبك مزورين ٠ لاتعف طـريقا كان النبى صـلى الله عليه وسلم لجها ٠ ولاتقدح زندا كان أكباها ٠ توخ حيث توخ صاحباك ٠٠ فانهما لزما الأمر فلم يظلما أحدا فتيلا ولا نقيرا هذه حق بنوتى قضيتها اليك ولى عليك حق الطـاعة فقـال لها عثمان :

«ياأم المؤمنين ٠٠ لقد قلت ووعيت ٠ ووصيت فاستوصيت ولى عليك حق النصتة» ثم أخذ يدافع عن سياسته ٠

وكان لأم المؤمنين عائشة مواقف كثيرة مع عثمان وهى تعظه حتى لايفلت منه الزمام ٠٠ وكانت فى بعض المواقف تثور عليه ويعلو صوتها بالغضب من انحيازه لبنى أمية ٠٠

---

(٢) المصدر السابق ص ١٣٤ ٠

ولكى يسكتها كان يرفع صوته هو ومن حـوله منهم بالتكبير والدعاء حتى يضيع صوتها ٠٠ ومع ذلك فعندما قتل كانت أول المطالبين بدمه ٠٠

وقد برز دور النساء فى العمل السياسى أقوى مايكون أثناء حكم بنى أمية وخاصة أثناء المحن والفتن التى صاحبت خلافة معاوية ومن بعده ٠ فمنهن الخطيبات البليغات من آل بيت النبـوة ومن آل عـلى رضى الله عنـه ومنهن خطيبات الخوارج ٠

وهذه أم كلثوم بنت على بن أبى طالب حفيدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت زوجة عمر بن الخطاب ٠٠ وكانت بليغة فصيحة وصاحبت على بن الحسين بن على الى الكوفة سنة ٦١ هـ ٠٠ وهناك كانت لها خطب سـياسية بليغة ووصف الامام خدام الأسدى بلاغتها فقال «لم أر (خفرة) والله أنطق منها ٠٠ كأنما تنزع عن لسان أمير المؤمنين على ٠ وأشارت الى الناس أن أمسكوا فسكنت الأنفاس ٠ وتكلمت فانهالت دموعهم على لحاهم ٠ أما سـكينة بنت الحسين فقد اشـتهرت بالشعر والأدب والبلاغة وكان الشعراء يؤمون بيتها ينشدونها أشعارهم وتجازيهم على قدر بلاغتهم وجودة شعرهم ٠

وجاء فى بلاغات النساء أن امرأة كانت تحـرض على بنى أمية فأمر الحجاج بحبسـها ٠٠ فلما جيىء بهـا أخـذ يزجرها وهى لاتنظر اليه ٠٠ قالوا : الأمـير يكلمك وأنت لاتنظرين اليه ٠٠ قالت : انى لأستحى أن أنظر الى من لاينظر الله اليه !!٠ فأمر بقتلها !

ومرة أخرى وقف الحجاج يخطب فى الناس مهددا «والله لأعدنكم عدا ٠٠ ولاحصدنكم حصدا ٠٠ فقالت امرأة (١)

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٣ ٠

من بينهم» الله يزرع وأنت تحصد ‥ فأين قدرة المخلوق من الخالق» ٠

وكانت النساء يشاركن فى الاجتماعات السياسية ‥ ويجتمع لديهم الرجال للتشاور فى الرأى : وهذه هند بنت (١) يزيد الأنصارية كانت امرأة بليغة قوية الحجة والبيان ‥ وقد ذكر (ابن جرير) أنها كانت فى بيتها تعقد الاجتماعات لمعارضى معاوية فى العراق ومن شعرها السياسى» ٠

« تجبرت الجبابر بعد حرب وطاب لهاالخورنق والسدير
وأصبحت البلاد لها محولا كان لم يحيها برق مطير

وهكذا أدت المرأة المسلمة دورها الوطنى بأمانة وشجاعة وشاركت فى أخطر القرارات السياسية ٠

ولايفوتنا فى هذا الباب أن نستشهد برأى الأستاذ الشيخ (٢) زكريا البرى وزير الأوقاف السابق وأستاذ الفقه الاسلامى وأصوله بجامعة الأزهر يرد به على من أفتوا بعدم أهلية المرأة للاشتراك فى انتخابات مجلس الأمة وعدم أهليتها لعضوية المجالس النيابية فيقول :

«وبجانب هذا الرأى فهناك رأى ثان يعطى المرأة الحق فى الولايات العامة اذا تأهلت لها وتوفرت فيها شروطها ٠ وقد وصلت المرأة الى هذه الأهلية فى بعض البلاد الاسلامية ٠ ويستند هذا الرأى الى الأدلة الآتية :ـ

أولا : يقول الله تعالى : «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون

---

(١) ابن جرير جـ ٧ ص ١٤٦ ٠

(٢) بحث القاه فى أسبوع الفقه الاسلامى ونشر فى مجلة العربى عدد ١٤٦

الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عـزيز حكيم». تلك الآية الكريمة المحكمة تفيد أن الرجال والنساء شركاء فى سياسة المجتمع ، فللمرأة كالرجل الولاية العامة «بعضهم أولياء بعض» تأمر بالمعروف كما يأمر ، وتنهى عن المنكر كما ينهى . وأعمـال السلطات التشريعيـة والقضـائية والتنفيذية ـ ليست الا أوامر بالمعـروف ، ونواه عن المنـكر ، أحيـانا بالتشريع والاجتهاد فى معرفة الأحكام ، وأخرى بالقضاء والفصل فى الخصومات ، وثالثة بالتنفيذ والالزام .

ثانيا بايعت المرأة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما بايع الرجل ، فى بدء الاسلام وأمر الله ـ سـبحانه ـ رسوله بقبول بيعتها «يأيها النبى ، اذا جاء المؤمنات يبايعنك، على ألا يشركن بالله شيئا ، ولايسرقن ، ولايزنين ، ولايقتلن أولادهن ، ولايأتين ببهتـان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولايعصينك فى معروف ، فبايعهن ..» .

وقد روى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتعهد النساء بهذه البيعة فى أيام الأعياد .

ثالثا : أجاز الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمرأة أن تمثل جماعة المسلمين ، وتتحدث وتعطى الأمـان الملزم باسمهم ، حين قال لأم هانىء : قد أجـرنا من اجـرت ياأم هانىء .

رابعا : شاركت المرأة ـ بمقدار ماتزودت به من علم ومعرفة ـ فى الحياة العامة ومسئولياتها فى عهد الصـحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن تبعهم باحسان من غير اختلاط مريب ولا تبرج فاضح .

خامسا : ان كثيرا من الأحكام الشرعية قد انفردت المرأة بروايتها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصبحت هذه الأحكام ـ عند جميع الفقهاء ـ دينا يتعبد به، وشريعة يعمل بها واذا كانت مقبولة الرواية الملزمة للمسلمين كانت أهلا للتطبيق والتنفيذ •

وقد اؤتمنت المرأة وحدها على أقدس المقدسات الاسلامية ، وهو القرآن الكريم ، حيث وضعت النسخة الوحيدة من المصحف الكريم عند أم المؤمنين حفصة وبقيت عندها مدة خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهم •

سادسا : ان للمرأة قدرة على الحوار والجدل • ورأيا وقولا سمعه الله سبحانه وتعالى فقال «قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير» فمن المصلحة الاجتماعية مشاركتها بهذا الرأى فى ظل الآداب والكرامة» •

الاختلاط فى ظروف الحرب :

غزو النساء وقتالهن فى الاسلام

من نساء الصحابة من قادة الجيوش فى معارك الاسلام ومنهن من ركبن الخيل وضربن بالقنا والسيوف ومعهن الشهيدات فى سبيل الله فى البر والبحر •

نزلت آيات القرآن التى تأمر بالجهاد موجهة الى المؤمنين كافة ولم يخص القرآن فى أمره ذلك الرجال دون النساء •• وقد ترك الاسلام لنساء المسلمين اختيار نوع الجهاد الذى

تشارك به كل منهن حسب ظروفها وطاقاتها ٠٠ وكلمة الجهاد لاتعنى فقط القتال بالسيف كما يتصور بعض الناس ٠ بل انها تشمل كل طاقات الانسان فى شتى مجالات الحياة ٠ وفى سبيل نشر الدعوة والدفاع عن الحق ومحاربة الباطل ٠٠ ومن هنا فان نساء المسلمين لم يتركن بابا واحدا من ابواب الجهاد الا طرقنه بحمية وبحماس ٠ وبكفاءة عالية ٠٠ ومن هذه الأبواب الجهاد فى ميادين الحرب ٠

ولأهمية دور المرأة المسلمة فى الحرب فان معظم كتب السيرة والمغازى الاسلامية قد خصصت أبوابا كاملة عن دور النساء فى كل معركة فمن ذلك كتاب (الاكتفاء فى مغازى رسول الله وكتاب (الطبقات الكبرى لابن سعد) (وأسد الغابة فى معرفة الصحابة) و (وفيات الأعيان لابن خلكان) وكتاب (فتوح الشام ومصر) هذا علاوة على كتب السيرة النبوية مثل سيرة ابن هشام ٠

كذلك خصصت كتب الحديث المعتمدة كلها مثل البخارى ومسلم وغيرهم أبوابا فى هذا المجال ٠ وقد سماه البخارى (باب غزو النساء (١) وقتالهن مع الرجال) ٠

أما كتب الشريعة والفقه الاسلامى فقد تناولت القواعد الشرعية لمشاركة المرأة فى كل شأن من شئون الحرب والقتال فبينت أن المرأة لها نصيب من غنائم الحرب مثل الرجل ولكن ليس لها سهم مثله ٠٠ وبينت متى تكون مشاركتها فى الحرب فريضة ومتى تكون اختيارا ومتى تكون مكروهه أو محرمة ٠٠ كما أنها بينت مهام المرأة فى الجيش ٠٠ وموقفها من الرجال

---

(١) صحيح البخارى جـ ٥ ص ٨٤ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ط ٢ ٠

وفى هذه اللمحة السريعة سوف نتناول تفصيلا لما جاء فى هذا المجال ·

الحرب الدفاعية والحرب الهجومية :

الحرب فى نظر الاسلام نوعان : حرب دفاعية وحـــرب هجومية ، ففى الحرب الدفاعية التى تتعرض فيها ديار الاسلام للخطر يكون الجهاد واجبا على كل رجل وامرأة حتى الطفل ، ولها أن تعمل كل مايعمله الرجل وكل ماتستطيع القيام به بما فى ذلك حمل السلاح والقتال أما الحرب الهجومية خارج ديار الاسلام فلايكون فيها ألزام على المرأة · ولكن من حقها المشاركة فيها بعد اذن من ولى أمرها ·

ومثال الحرب الدفاعية على عهد الرسول غزوة الخندق عندما ووجه المسلمون فى المدينة بالغزو فقاموا جميعا بعمل التحصينات وحفر الخندق · وكان الرسول يوزع العمل على كل أسرة رجالا ونساء وأطفالا ·· وعندما اقتضى الأمر حملت المرأة السلاح (١) · فقد جاء فى سيرة ابن هشام أن صفية عمة رسول الله عندما رآت يهوديا يحوم حولهم ويتجسس لصالح المشركين طلبت من الشاعر حسان بن ثابت أن يمسك به فلما رأته قد خاف منه قامت الى السلاح وقتلت اليهودى وعادت الى مكانها ·

أما فى الحرب الهجومية فقد كان نساء الصحابة يرافقن الجيوش فى كل غزوات الرسول مثل أحد وخيبر وفى فتح مكة والطائف ·· ثم شاركن بعد وفاة الرسول فى حروب الردة ثم فتـــوح الاســـلام فى ارض فارس والشـــام ومصر · بل وشاركن فى غزوات البحر فى قبرص وكريت ·

---

(١) سيرة بن هشام جـ ٣ ص ٢٢٨ ·

وتتلخص مهام المرأة في الحرب فى النواحى التالية :

١ ـ القتال الفعلى بالسلاح وفوق الخيل مثل الرجال ·

٢ ـ الاسعاف الأولى وتمريض الجرحى ودفن الموتى ·

٣ ـ الاشراف على امداد السلاح وعدة الحرب ورعاية الخيل والدواب ·

٤ ـ الاشراف على تموين الجيش بالطعام وطهيه وتقديمه ·

٥ ـ المشاركة فى المشورة والرأى العسكرى ·

٦ ـ المشاركة في الاعداد النفسى والمعنوى ·

وهذا تفصيل لكل واحد من هذه المهام ·

(أ) المشاركة فى القتال :

لم يكن القتال الفعلى من المهام الرئيسية المفروضة على المرأة المسلمة فى ميادين القتال · ولكن بعض النسوة ممن أوتين القدرة والقـوة على التحمل كن يشـاركن طوعا فى القتال · وكثيرا ماكانت ظروف المعركة تضطر جميع النساء الى مشاركة الرجال فى القتال بمختلف أنواع السلاح مساعدة لهم أو منعا للهزيمة ·· وفى بعض المعارك الكبرى كاليرموك أو القادسية كان عدد النسوة يصل الى بضعة آلاف امرأة · وهذا العدد قادر بلاشك على تغيير مصير المعـركة فى وقت الشدة والحسم ·

المشاركة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

كانت أول مشاركة فعلية لنساء الصحابة فى غـزوات الرسول فى معركة أحد ·· وقد برز دورهن عندما تخلىفريق

الرماة عن مواقعهم وحلت الهـزيمة بالمسـلمين · وتقـدم المشركون يـريدون النيل من رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ·

وتقول أم عمارة (١) (نسيبة بنت كعب) عن دور النساء فى ذلك اليوم «لقد رأيت المسلمين منهزمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت ابن قمأة مع جماعة من فرسان المشركين يبحثون عن الرسول يريدون أن يقتلوه · ولم يكن حول الرسول غير قلة من المسلمين الصابرين المؤمنين لايزيدون عن العشرة · وكنت أنا وأم أيمن وأم سـليم بالقـرب من رسول الله · وكان فى أيدينـا الماء نسـقى منه الجـرحى ونداويهم · فما أن رأينا هؤلاء المشركين حتى ألقينا بالدلاء وأخذنا السلاح من القتلى ووقفنا مع الصـحابة ندافع عن رسول الله ·

وقد ظلت تقاتل مع زميلاتها دفاعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتنادى (٢) على فرسان المسلمين ليعودوا الى القتال والدفاع عن قائدهم ونبيهم ·· وتكفيها شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم لها اذ يقول : ــ

«ما التفت يمنة ولا يسرة الا وجدت أم عمارة تقاتل دونى» وكان أول المستجيبين لنداء أم عمارة للوقوف بجوار الرسول أولادها وزوجها ·· وفى ذلك يقول ابنها عمارة :

«جرحت يومئذ جرحا فى عضـدى اليسرى ضربنى به رجل كأنه الرقل (أى كالنخلة) ومضى عنى وجعل الدم لايرقأ· فأقبلت أمى على ومعها عصائب فى حقويها قد أعدتها للجراح·

---

(١) طبقات بن سعد جـ ٨ ص ٣٠١ ، (أم عماره) ·
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ص ٨٢ جـ ٣ ·

فربطت جرحي والنبي واقف ينظر الى ثم قالت : انهض بنى فضارب القوم »

فتبسم لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ما تطيقين يا أم عماره ؟ « ثم اقبل الرجل الذى ضرب ابنها فقال لها الرسول يشير اليه » . هذا ضارب ابنك ياام عماره « فقامت الى سيفها فضربته به فى ساقه فبرك على الارض فاقبلت هى ونساء الصحابة عليه حتى قتلته فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم

« الحمد لله الذى ظفرك واقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك « وقد اصيبت ام عماره (١) فى ذلك اليوم بثلاثة عشر جرحا مابين طعنة رمح أو ضربة من سيف كان أحدها غائرا ينزف منه الدم فى عاتقها ومع ذلك فلم تتخل عن رسول الله بل اعدت نفسها للشهادة فقالت للرسول « يارسول الله .. ادع لى الله أذا قتلت فى موقفى هذا أن أكون معك فى الجنة . فدعا لها » اللهم اجعلها معى فى الجنة .. فقالت : « الان لا أبالى بالموت فى أى ساعة اتانى » .

ومن ابطال ذلك اليوم أيضا : أم ايمن (٢) وهى مولاة الرسول وحاضنته وكان عمرها يوم أحد تناهز الستين عاما فما ان علمت ان الرسول جرح .ورأت الدم يسيل من وجهه وعاتقه حتى اعطاها الله قوة مثل عشرة رجال .. واخذت سيفا وقامت تدافع عن الرسول كما تدافع الأم عن ابنها .. ورأت أحد رماة المشركين يسدد سهمه نحو رسول الله . وانطلقت تحمى الرسول بجسدها فأصابها السهم فى صدرها . فتناول الرسول سهما من كنانته ودفع به الى سعد بن ابى

---

(١) المغازى جـ ٣ ص ٢٧٢ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٨ واسد الغابة لابن الاثير .

وقاص خير رماة المسلمين وقال له : ارمه به فوقع السهم فى نحره فطمأنهـا الرسـول وقال لها : ابشرى يا ام ايمن فقد انتقم لك سعد اجاب الله دعوته · وقال الرسـول عنها فى ذلك اليوم : « هذه بقية أهل بيتى وهى امى بعد امى » ·

وجاء فى صحيح (١) مسلم « اتخذت أم سليم فى غزوة حنين خنجرا فقال لها الرسـول : ما هذا ؟ ·· قالت » خنجر اتخذته ان دنا منى احد من المشركين بعجته به (أى شققت بطنه) ·

وفى غزوة خيبر أبلت السيدة أمية بنت قيس الغفارية احسن البلاء فى قتال اليهود فقلدها الرسول صلى الله عليه وسلم قلادة مثل الأوسمة الحربية التى تعلق على صدور القادة والأبطال فى عصرنا الحديث ·

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم : شاركت النساء فى حروب الردة وقد ظلت آم عمارة تقاتل مسيلمة الكذاب حتى قطعت يدها فى معركة اليمامة (٢) وعند بداية الفتوح الكبرى خـارج جزيرة العرب ابتدأ عصر جديد من الجهـاد والغزو · واصبحت الأمور اكثر تنظيما وترتيبا فكونت نساء الصـحابة فرقا خاصة لمختلف المهام · وظهر جيل جديد من المقاتلات الأبطال منهن اسماء بنت ابى أخت عائشة ·· وخولة بنت الأزور أخت القائد الاسلامى ضرار بن الأزور · وأم حكم زوجة عكرمة بن أبى جهل ·

وقد برزت اسماء فى معركة اليرموك تحت قيادة خالد بن الوليد وبصـحبة زوجها الزبير بن العوام ·· وقد ذكرت كتب التاريخ انها كانت لا تقل عن الزبير بطولة ولا شدة فى

---

(١) رواه مسلم ·

(٢) طبقات ابن سعد (مصدر سابق) ·

القتـــال ·· فكانت تجاريه بفرسها و بسـيفها ضربة بضربة وصولة بصولة ·· وكانت الى جانب ذلك تخطب فى الرجال تحثهم على القتال والشهادة والصمود امام العدو ·

اما خـولة بنت الازور فقد شـاركت في معـركة (١) اليرموك وفى فتح مصر وقد روى الواقدى فى كتـابه فتوح الشـام ومصر الكثير من بطولاتها فكانت تقاتل وهى ملثمة لا يظهر منها الا حدق عينيها ·· وقد ظـل خالد بن الـوليد يتعجب من هـذا الفارس الذى يخترق صـفوف جنود الروم فيضرب ذات اليمين وذات الشـمال حتى يختفى داخلهم ·· ثم يعود يخترق الصفوف حتى يصـل الى جيش المسـلمين · فيناشده خالد ان يكشف اسـمه ويرفع لثامه · فاذا بالجميع يفاجأون بان هذا الفـارس الذى بز الجميع امرأة ·· فقال لهـا : من أنت وما حملك عـلى ذلك ··؟· فقـالت : أنا خولة بنت الازور · كنت مع نساء قومى نعمل خلف الصفوف فأتانى خبر ان الروم قد اسروا أخى ضرار بن الازور فركبت فـرسى وفعلت ما فعلت أريد أن أخلص أخـى من الأسر · فاعجب خالد بشجاعتها وصاح فى جنده ان يحملوا على العدو حملة واحدة حتى استخلصوا اخاها منهم · وقد شاركت خولة أيضا فى فتح مصر مع جيش عمرو بن العاص ·

قنطرة أم حكيم .

ومن أعظم البطولات النسائية فى التاريخ الاسلامى ام حكيم بنت الحارث بن هشـام زوجة عكرمة بن ابى جهل ·· لقد كان عكرمة ابن أبى جهل مثل أبيه من أشد الناس ايذاء للمسلمين ·· وكذلك كانت زوجته أم حكيم ·· وقد حضرت

(١) فتوح الشام للواقدى (ص ٢٨ ، ٢٩ طبعة مصر) ·

مع زوجها يوم أحد وقاتلت بشدة فى صفوف المشركين مع صاحبتها هند بنت عتبة • وقد اسلمت أم حكيم فى يوم الفتح قبل زوجها عكرمة •• وحسن اسلامها • وشاركت أم حكيم مع زوجها فى حروب الردة وقد ولاه الخليفة ابو بكر قيادة احد جيوش المسلمين • ولكن بطولتها الحقيقية فى القتال ظهرت فى معركة اليرموك تحت امرة خالد بن الوليد • فقد كان زوجها عكرمة على قيادة أحد فيالق المسلمين فى المعركة •• وأصابه سهم قاتل • وعلمت أم حكيم فى تلك اللحظة أن الرومان قد انتهزوا فرصة مقتل القائد الاسلامى وأرادوا مباغتة المسلمين وعبور القنطرة التى تفصل بين الجيشين •• وفى الحال قامت أم حكيم وأخذت سلاح زوجها القتيل ومعها فريق من نساء الصحابة •• فقاتلن الرومان على القنطرة حتى هزموهم وردوهم على أعقابهم وحموا جيش المسلمين من هذه الثغرة الخطيرة وقد استشهدت أم حكيم فى هذه الموقعة •• وتكريما لها أطلق خالد بن الوليد على هذا المكان (قنطرة أم حكيم) (١) ومازالت هذه القنطرة حتى يومنا هذا فى فلسطين المحتلة وتسمى باسمها •

معركة الزملة وأول جيش نسائى فى التاريخ :

لايوجد فى التاريخ الانسانى معركة كبيرة يخوضها جيش كله من النساء ضد جيش كله من الرجال كما حدث فى معركة الرملة بفلسطين التى خاضتها نساء المسلمين ضد جيش الرومان وانتصرن عليهم •• فقد علم قائد جيش الرومان فى مصر أن جيش عمرو بن العاص قد ترك تموينه والكثير من عدة الحرب فى الرملة وان الذى يحرسها فريق من

(١) فتوح الشام ومصر للواقدى مصدر سابق ، ووفيات الاعيان لابن خلكان •

النساء فركب الاسطول الروماني ونزل على الشاطىء .. ثم حاصر النساء في الليل وهو يتصور أن هذه ستكون غنيمة باردة . ولكنه فوجىء بالنساء (١) يتبادرن الى سلاحهن ويصحن متنمرات بصيحات الحرب . وظلت المعركة سجالا بين نساء المسلمين وجيش الرومان حتى تراجع الجيش مدحورا .. وعاد الى مراكبه تاركا بعض الأسرى والجرحى .. وبذلك حمت نساء الصحابة مؤخرة جيش المسلمين في مصر وصانت له المؤن والسلاح من الوقوع غنيمة في أيدى عدوهم وقد جرحت في هذه المعركة خولة بنت الازور وسقطت أسيرة في أيدى الرومان الى أن استنقذها عمرو بن العاص .

وبعد هذا الجيل الرائد من الصحابيات المقاتلات ظهر جيل آخر من البطولات النسائية العسكرية منهن ليلى بنت(٢) طريف التي خلفت أخاها الوليد على جنده بعد مقتله وخاضت المعارك انتقاما له . ومنهن غزالة الحرورية (٣) زوجة القائد شبيب بن يزيد . وكانت هي وزوجها يليان القيادة على جيوش الخوارج وقد هزمت الحجاج في عدة معارك .

مشاركة النساء في الغزو البحرى :

من طبيعة عرب الصحراء أنهم يتهيبون البحر ولايحبون ركوبه وذلك بحكم البيئة الصحراوية البدوية التي نشأوا فيها .. ولهذا السبب كانت الفتوحات الاسلامية الأولى في البر . وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان طلب منه معاوية أن يأذن له يغزو جزيرة (٤) قبرص لتأمين الشواطىء

(١) فتوح الشام (مصدر سابق) .
(٢) الاغانى جـ ١٦ ص ١٨ ، ٢١ ص ٢١ .
(٣) فتوح الشام ومصر (مصدر سابق) .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

الاسلامية من الاسطول الروماني وقطع الطريق عليه . فأذن له عثمان بذلك ولكن على شرط أن يصطحب هو وغيره من قادة الاسطول زوجاتهم معهم . وكانت هذه حكمة عظيمة من عثمان رضى الله عنه وبعد نظر . فهى تدل على تقدير كبير لدور المرأة المسلمة حين تكون بجوار زوجها . فهى تزيده حمية واقداما على القتال بقدر ماتزيده يقظة وحرصا على جنوده ومن معه . وهكذا ركب نساء البدو البحر لأول مرة فى حياتهن وكان بين هؤلاء النسوة الصحابية الجليلة أم حرام بنت ملحان التى استشهدت فى هذه الغزوة ودفنت فى قبرص ومايزال قبرها هناك حتى اليوم فى الجانب التركى .

ومن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قد تنبأ لأم حرام بهذا الغزو ورآه فى منامه فقد جاء فى الصحيحين عن أنس بن مالك أن رسول الله كان راقدا فى بيت أم حرام ثم استيقظ من نومه ضاحكا قالت : مايضحكك يارسول الله قال : **ناس من أمتى عرضوا على غزاة (١) فى سبيل الله يركبون ظهر هذا البحر الأخضر مثل الملوك على الاسرة .** قالت يارسول الله : ادع لى الله أن أكون منهم . قال : فانك منهم . فذهبت مع أسطول معاوية واستشهدت فى قبرص .

كانت هذه لمحات وضيئة من بطولات المرأة المسلمة فى ميادين القتال والآن بقى سؤال هام : ــ

وهو اذا كانت المرأة المسلمة فى عصور الاسلام الاولى . قد شاركت فى القتال الفعلى بكل هذه الحرية .. والاقبال والشجاعة .. فقاتلت على الخيل .. وضربت بالسيوف وطعنت بالرماح ..

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

واذا كانت بعضهن قد قادت جيوش الاسلام فى تلك الفترة المشرقة فلماذا لانجد هذه المشاركة تستمر عندما استقرت دولة الاسلام · ولماذا لم تظهر بطولات عسكرية جديدة فى الدولة العباسية مثلا والدولة الاندلسية ·والواقع أن هذا يعود الى أن جيوش الاسلام فى المرحلة الأولى كانت تقوم على التطوع ·· وكانت الحروب كلها عقائدية فى سبيل الله ·· أما بعد ذلك فقد أصبحت الجيوش نظامية وأصبح القتال فيها مهنة واحترافا ·· والحروب بعد ذلك أصبح يغلب عليها طابع الفتح والتوسع أكثر من نشر الدعوة والجهاد فى سبيل الله ·· وهذا بطبيعة الحال لايناسب المرأة ·· ولايجذبها نحو المشاركة فى القتال ·

(ب) المهام غير القتالية للمرأة فى الحرب :

ذكرنا دور المرأة المسلمة فى القتال الفعلى بشتى أنواع السلاح والآن نتكلم عن جوانب أخرى من مهام المرأة المسلمة فى سيادين القتال ·

المشاركة فى المشورة والرأى فى الحرب :

كان نساء الصحابة يشاركن الرجال فى كل شأن من شئون الحرب فكان لهن راى فى قرار الحرب أو السلم ·· وفى خطة المعرمة وسير القتال وفى مفاوضات الصلح والهدنة · ولهن حق فى الاجارة والعفو عن الأسير ورد امواله اليه ·

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الصحابة قبل القتال للمشورة ، وكان نساء الصحابة يحضرن هذه الاجتماعات والرسول ينادى بين الجميع : ايها الناس أشيروا على ·· فقد أمرنى ربى المشورة ·

ومعروف أن هـذه المشـاركة فى الرأى لم تقتصر على الشئون التى تتعلق بـدور المرأة فحسب .. بل شملت كل القضايا الكبرى بما فيها قرار الحرب نفسه .

وعنـدما بويع الامام على بالخـلافة عارضت السيدة عائشة فى سياسته وأخذت تجمع جيشا من كبار الصحابة ثم أعلنت الحرب على الخليفة وقادت الجيش بنفسها وهى راكبة جملا فكانت أول امرأة فى التاريخ الاسلامى تقود الجيوش وتعلن الحرب .

وكان تحت أمرة أم المؤمنين فريق كبير من كبار الصحابة ومنهم العالم والفقيه بالدين مثل طلحة والزبير وغيرهم .

وكان للمرأة المسلمة أيضـا رأى فى خطـة القتال . تشارك فى وضع خدع الحرب . وترتيب الجيوش . وقد ذكر الامام الواقدى فى فتوح الشام ومصر الكثير عن دور النساء فى هذا المجال وخص بالذكر بعض فارسات الاسلام مثل خولة بنت الأزور ودورها فى معركة سحورا وأسماء بنت أبى بكر فى معركة اليرموك .

- ففى سحورا (١) بالشام اضطر خالد بن الوليد أن ينسحب بالجيش فى حركة سريعة حتى يواجه الرومان فى اليرموك .. ولم يبق فى سحورا غير النساء ومعهن العتاد الثقيل والمؤن وبعض من الرجـال كبار السن ممن لايقـدرون على سرعة الحركة ومعهم القائد أبو عبيدة الجـراح وأخـذ أبو عبيدة يتشاور مع النساء ويرتب معهن خطة للدفاع عن سحورا . وعن تموين الجيش .. وهكذا عنـدما حضر الرومان كان النساء بانتظـارهم ودارت معـركة كبيرة بين جيش النساء وجيش الرومان وانتصر النساء وسلمت المؤن .

---

(١) فتوح الشام .

كذلك كان للمرأة المسلمة رأى فى مفاوضات الصلح • ومن المشورات الشهيرة رأى أم سلمة (١) زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية فقد اختلف المسلمون في شروط الصلح وكاد أن يحدث شقاق فى الصفوف عندما رأت أم سلمة الرسول مهموما بأمر المسلمين أخذت تفكر حتى هداها الله الى الرأى الذى يوفق بينهم ويقضى على أسباب الخلاف حتى قال لها الرسول يومئذ «حبذا أنت ياأم سلمة لقد نجا الله المسلمين بك اليوم من عذاب أليم» •

حق الاجارة والعفو عن الأسير :

ومعنى الاجارة هو حماية الأسير من القتل والعقاب • بل لها أيضا حق اطلاق سراحه وحق رد أمواله اليه • وهذا تكريم لمكانة المرأة لم تصل اليه النساء فى أى أمة من الأمم أو شريعة من الشرائع حتى يومنا هذا •

كانت زينب بنت رسول الله متزوجة من أبى العاص بن الربيع • ولما ظهر الاسلام وبقى على شركة فرق الاسلام بينهما وبقى فى مكة •

وقد وقع فى الأسر مرتين : المرة الأولى فى معركة بدر •• حيث فدته زينب بقرطها •• أما فى المرة الثانية فقد كان في قافلة تجارية الى الشام • فاغار عليها المسلمون وأسروه وقد استجار أبو العاص بزينب •• فدخلت المسجد فى الفجر وحضرت الصلاة ثم وقفت بعد الصلاة و نادت بأعلى صوتها : يامعشر المسلمين •• يامعشر المسلمين •• فالتفتوا اليها •• فقالت : انى قد أجرت العاص بن (٢) الربيع •

---

(١) سيرة ابن هشام صحيح مسلم (ام سلمة) والاصابة وابن سعد
(٢) الاصابة جـ ٨ ص ٩١ ـ ٩٢ الطبعة الشرفية

فالتفت الرسول الى من حوله من الصحابة وقال «هل سمعتم ماسمعت ؟» قالوا : نعم قال : فوالذى نفسى بيـده ماعلمت بشىء مما كان حتى سمعت الذى سمعتم ثم قال صلى الله عليه وسلم : **المؤمنون يد على من سـواهم يجـير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أحارت** • فلما انصرف النبى الى منزله دخلت عليه زينب فسألته أين يرد على أبى العاص ما أخـذ منه ففعل • فانطلق أبو العاص الى مكة فأدى الحقوق التى عليه الى أهلها ثم آب الى المدينة مسلما فرد عليه الرسول زوجته •

وقد أجارت أم هانىء رجلين كتب عليهما القتل ، يوم فتح مكة فقد جاء فى سيرة ابن هشام على لسانها •

«لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر الى رجلان من احمائى (١) من بنى مخزوم • فدخل على شقيقى على بن أبى طالب فقال : والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما باب بيتى •• ثم جئت رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فقال مرحبا وأهلا ياأم هانىء ماجـاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر على •• فقال : قد أجرنا من أجـرت ياأم هانىء •• وآمنا من آمنت فلا يقتلهما •

وبديهى أن لهذه الحوادث صفة تشريعية فهى لاتخص ال الرسول وحدهم ولكنها تخص كافة نساء المسلمين •

الاشراف على تموين الجيش بالسلاح والطعام :

كان من عمل النسوة على عهد الرسـول صـلى الله عليه وسلم الاشراف على المؤن وحراستها وطهو الطعـام للجنـود

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٠ والبخارى جـ ٨ ص ٣٧ •

وتقديمه اليهم ·· وكن أيضا يشرفن على خيول الحرب وسائر الدواب ·· ويداوين جراحها ·· ويطعمنها وكان عليهن أيضا مهمة اصلاح السلاح واعداده ·· وامـداد المتحاربين بالسلاح الجديد أثناء القتال ·

وقد روى الامام الواقدى أن خـالد بن الوليـد كانت تتكسر فى يديه بضعة سيوف فى المعركة الواحدة ·· فكانت تخرج اليه زوجته أم تميم بسلاح جديد ليكمل معركته وكذلك كانت تفعل أسماء بنت أبى بكر لامداد زوجهـا الزبير بن العوام بالسلاح وهكذا ·

وفى بعض الظروف كان الجيش يضطر الى سرعة الحركة لمباغتة العدو أو سبقه الى مكان حصـين ·· كما حـدث فى سحورا وفى الرملة وكان القائد يترك التموين والسـلاح الثقيل مع النساء لحراستها ·· ومد الجيش بها بعد المعركة ·

النساء فى حراسة الجيش :

فى جميع معارك الاسلام كان المسلمون دائما قلة أمام أعدائهم ولذلك فعندما كان القتال يشتد على الجيش ويحتاج الرجـال الى الراحـة كان النسـاء يقمن بالحـراسة ليـلا ونهارا ·

ويروى صاحب فتوح الشـام عن (يـوم التعوير) فى اليرموك أن جنود المسلمين قد ناموا جميعا بالليـل من شدة الارهاق والتعب فى ذلك اليوم ولم يشأ أبو عبيدة بن الجراح أن يكلف أحدا من المقاتلين بالحراسة فقام بنفسه وهو القائد العام لكى يتولى حراسة جنوده · فاذا به يجـد أسـماء بنت أبى بكر ومعها فريق من نساء المؤمنين وقد قمن بالحـراسة تطوعا منهن ·· وقد توشحن بالسيوف والدروع ·· وكان

شيئا رائعا أن يكون الذى يتولى حراسة المسلمين هما القائد العام بنفسه وابنة الخليفة وقالت أسماء فى ذلك : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«عينان لاتمسهما النار •• عين بكت من خشية الله (١) وعين باتت تحرس فى سبيل الله» متفق عليه •

المشاركة فى التعبئة المعنويه والتأثر النفسى :

لاشك أن لوجود المرأة المسلمة فى ميدان القتال الى جوار زوجها وأخيها وأولادها تأثيرا نفسيا عظيما على المقاتلين •

(أ) فكن يلقين بالخطب وأشعار الحماس قبل القتال وأثناءه وبعده •

(ب) وكان لهن دور فى منع الهزيمة بتشجيع المترددين والمتراجعين على مواصلة القتال

(جـ) وكان لهن دور فى الترفيه عن المقاتلين بالكلمة الطيبة والقول المعروف •

وفى معركة أحد عندما انهزم المسلمون عن رسول الله وبقى وحده يقاتل مع عدد قليل من المؤمنين تمدمت النساء يقاتلن وهن يصرخن على الرجال ليثبتوا بجوار نبيهم •• وهذه أم عمارة عندما جرح ولدها أخذت تضمد جرحه ثم قالت له : انهض يابنى فضارب القوم ولاتهن» •

وجاء فى كتاب المغازى :

«انهزم المسلمون يوم أحد عن رسول الله فلقيتهم أم أيمن (٢) ناكصين فاخذت تحثو فى وجوههم التراب •

---

(١) رواه البخارى ومسلم •

(٢) كتاب المغازى (مرجع سابق) •

وتقول لهم «هناك المنازل فاغزلوا بها وهاتوا سيوفكم لنقاتل بها عنكم» •

وكانت هند بنت عتبة تحصن رجال المشركين بأشعارها على القتال وتشمت فى هزيمة المسلمين وتقول •

نحن ضربناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
فتصدت لها من صفوف المسلمين هند (١) بنت أثاثة بن المطلب وقالت

ضربت فى بدر وبعد بدر يابنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر بكل قطاع حسام يفرى

وقد شاركت النساء على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فى الترفيه عن المقاتلين ولكنه ليس ترفيها بالمعنى المفهوم فى عصرنا أو عند الغرب من عرض لمفاتن الجنس أو الأغانى الخليعة والرقصات الماجنة • فمن يحارب بالجنس ولاجل الجنس لايمكن أن ينصره الله على أعدائه بل تتخلى عنه الملائكة ولكنه ترفيه بالمفهوم الاسلامى الصحيح •• بتذكيرهم بالجنة : التى وعد الله الشهداء والمجاهدين الصابرين •• وبكلمات العطف والتشجيع •• وبالقول المعروف الذى أمر به الله بقوله تعالى «وقلن قولا معروفا» •

وقد جاء فى كتب السيرة أن بعض نسوة الأنصار جئن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته ظافرا من احدى المعارك •• وقلن له انهن قد ندرن ندرا أن يتغنين بالاشعار له ولأصحابه المقاتلين • ويضربن بالدف احتفالا بالنصر •• فأقرهن الرسول على ذلك واستمع اليهن وهن يتغنين •

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٩٢ •

وجاء فى كتاب فتوح الشام ومصر «وصارت المرأة تجمل مرطها تمسح وجه زوجها أو أخيها وتقول له «أبشر بالجنــة ياولى الله» ٠

ومن أبرز مواقف النساء فى الحرب قصة الخنساء شاعرة الجاهلية ٠٠ فقد شاركت المسلمين فى فتح فارس وأخذت تخطب فيهم قبل معركة القادسية تحثهم على القتــال ٠٠ ثم وجهت الكلام الى أولادها الأربعة وقالت :

«يابنى ٠٠ انكم أسلمتم طائعين ٠٠ وهاجرتم مختارين ٠٠ فاعلموا أن الدار الآخرة خــير من الدار الفــانية ٠٠ اصبروا وصــابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ٠ فاذا رأيتم الحرب قد شمرت على ســاقها ، وجللت نارا على أوراقها فيمموا وطيســها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة ٠ فى دار الخلد والمقامة» ٠

وقد استشهد أولادها الأربعة فى هذه المعركة واحدا بعد الآخر ٠٠ وانزعج الصحابة وتهيبوا أن يبلغوها بالخبر وهم الذين يعرفون مافعلته الخنساء لمقتل أخيها صخر فى الجاهلية ٠ ولكن الاسلام كان قد غير كل مفاهيمها فى الحياة ٠ فما أن وافاها الناعى بالخبر ٠ حتى فوجىء بها تستقبله فى هدوء وسكينة شأنها شأن المسلمة المؤمنة ٠٠ ولم تزد عن قولها : «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من الله أن يجمعنى(١) بهم فى مستقر رحمته :

وفى معركة اليرموك وضع خالد بن الوليد النسوة على ربوة خلف الجيش ٠٠ وأمرهن بمنع المتراجعين ٠٠ وحثهم على العــودة الى القتــال فكن يضربن من يتراجــع بالحصى والتراب ٠

---

(١) الاصابة جـ ٨ ص ٦٦ ، ٦٧

وكن يخطبن فيهم قائلين «الى أين تنهزمون ياأهل الاسلام عن الأمهــات والأخــوات والبنين والبنــات : أتريدون أن تسلمونا الى اعلاج الروم» وكانت أسماء بنت أبى بكر تصيح فى المتراجعين بآيات من كتاب الله وتقول لهم «ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله» ٠

وتقول أيضا «**ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا**» ٠

ورأت هند بنت عتبة زوجها ابا سفيان متراجعا بفرسه تحت ضغط جنود الرومان ٠ فتصدت له بعمود خيمتها ٠٠ وهى تصيح فيه : «ماذا دهاك يا أبا ســفيان ٠٠ أســد فى الجاهلية جبان فى الاســلام : عــد الى اخــوانك وقاتل عن الاسلام ٠٠ واستشهد حتى تمحو سيئاتك الى رسول الله»

ويذكر مؤرخو فتح الشام أن النســاء من شــدتهن على المتراجعين قد جــرحن خمسة منهم بأعمدة الخيــام وقتلن واحدا ٠

وبفضل هؤلاء النسوة كان الفرسان المتراجعون ينادى بعضهم بعضا بالعودة الى القتال : وينشكدون قول الشاعر :

«وفى أعقــابنا بيض حسان نحــاذر أن نقسم أو نهونا

ويروى الامام الواقدى على لسان أحد المجاهدين الذين شاركوا فى هذه المعركة «كانت النساء أشد علينا غلظة من جنود الروم ٠٠ حتى رجع المسلمون عن الهزيمة ٠ ونادى بعضهم بعضا ٠٠ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالحق ٠٠ حتى قلبوا الهزيمة الى نصر مبين» ٠

كذلك قام النساء بدور خطير فى فتح فارس مع سعد بن أبى وقاص فقد ذكر الطبرى عن أم كثير امــرأة همــام بن الحارث قالت :

«شهدنا القادسية مع سعد ومع أزواجنا فلما أتانا ان قد فرغ من الناس شددنا علينا ثيابنا وأخذنا الهراوى ثم أتينا القتلى فما كان من المسلمين شفيناه ورفعناه . وماكان من المشركين أجهزنا عليه» وكان عدد النسوة (١) على ماذكر الطبرى فى تلك المعركة ألف امرأة من قبيلة بجيلة وسبعمائة من قبيلة النخع ويذكر الطبرى أن بين هؤلاء جميعا سبعمائة امرأة لا أزواج لهن فتزوجن جميعا فى هذه الحرب .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨٢/٣ (مطبعة الاستقامة) .

الباب الثالث

الجانب التاريخى
معركة تحرير المرأة المسلمة
من عهد الرسول (صلعم) حتى يومنا هذا

- الاسلام حرر المرأة وأعلى مكانتها ٠
وتقاليدنا الموروثة عن عصور التخلف اهدت حقوقها
- قاسم أمين ورسالته فى تحرير المرأة ٠
- معركة الاختلاط فى جامعة القاهرة والجامعات العربية ٠

الجانب التاريخى : معركه تحرير المرأة العربية من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يومنا هذا

الاسلام حرر المرأة وأعلى مكانتها
وتقاليدنا **الموروثة عن عصور التخلف** أهدرت حقوقها

لقد كان تأخر المرأة المسلمة فى عصرنا الحاضر ·· وتخلفها اجتماعيا وانسانيا سببا فى حملة نقد مريرة وظالمة وجهها الجهلة والمغرضون الى الاسلام · قال بعضهم ان الاسلام يمنع المرأة من العلم والتثقيف · وانه يمنعها من العمل وطلب الرزق ·· وقال آخرون انه يمنع المرأة من الاختلاط بالمجتمع كانسان · ويحبسها فى البيت كالعبد أو الحيوان ·

وانها كزوجة لا حقوق لها ولا كرامة ·· فهى فى البيت واحدة من اربعة زوجات ومستقبلها مرهون بكلمة طلاق فى لحظة غضب ·· واذا هربت من ظلم الزوج سيقت الى بيت الطاعة بالشرطة كما يساق العبد الهارب الى سيده ومولاه ·

وان الاسلام يعتبر المرأة كلها فتنة وعورة ·· فصوتها عورة ووجهها عورة وحتى آثار أقدامها على الأرض عورة ·

فهناك شعوب مسلمة فى القرن العشرين تلزم المرأة بوضع ثلاث طبقات من القماش الأسود فوق وجهها لاخفاء كل معالمها فى الطريق · وكثير من هؤلاء النسوة من تصاب بالاختناق والاغماء فى قيظ الصيف وحرارة الشمس وانعدام الهواء النقى تحت تلك الأغطية السميكة ·· وكثير منهن من تصاب بالربو وضيق التنفس وفقر الدم ·· فهل من العدل أن يفرض هذا على النساء ولايفرض مثله على الرجال ·

وهناك من هذه الشعوب الشديده التخلف من يعتبر آثار أقدام المرأة فتنة جنسية فيلزمها بلبس ثوب طويل يجرجر

على الأرض حتى تمسح به آثار أقدامها على التراب (ومازال هذا التفكير معمولا به حتى بعد عصر الأسفلت والقار) ·

وهكذا يرتبط الاسلام فى ذهن الكثيرين من هؤلاء الناقدين بمجتمع النساء المترهلات قعيدات البيوت والحرملك والأغوات والعبدات والبخور ·· أو بالمرأة غير المنتجة فى المجتمع والتى كل عملها هو استهلاك الملابس والمال والطعام ·· وحديث الجيران والكيد للحموات وخناقات الصبية والاطفال أو التفنن فى وسائل خراب بيت الزوج · وانفاق ماله حتى لايفكر فى زوجة أخرى ولايحب سواها ·

وأقول لهؤلاء جميعا : لاتظلموا الاسلام ·· وخذوا العلم من منبعه لا من مصبه ·· ومنبعه هو القرآن الكريم وسنة رسول الله ومصبه هو مجتمعنا الفاسد المتخلف بتقاليده الموروثة التى أدخلها زورا وبهتانا على الاسلام ·· واليكم الحقيقة والحجة والبرهان ··

١ ـ مكانة المرأة فى صدر الاسلام :

لقد رأينا كيف أعلى الاسلام من مكانة المرأة العربية ووضع لها من التشريعات التى تكرمها كزوجة وابنة وأم ومواطنة مالم تنله المرأة فى دولة الفرس ولا الرومان وهما أقوى وأرقى الدول فى ذلك العصر ·· بل أعظم من مكانة المرأة الاوروبية فى عصرنا هذا ··

ومن حقائق التاريخ المذهلة أن المرأة الاوروبية لم تحصل على حق الانتخاب الا عام ١٩٤٤ م فى فرنسا وعام ٤٥ فى ايطاليا وعام ٤٨ فى بلجيكا ·· فى حين أن الاسلام أعطى المرأة المسلمة هذا الحق منذ ١٤ قرنا فقد كانت المرأة تدلى بصوتها فى اختيار الخلفاء الراشدين بل كانت تشترك

فى المعركة الانتخابية · ويشير قاسم أمين الى السيدة عائشة رضى الله عنها بأنها كانت بمثابة رئيسة للحزب المعارض فى عهد عثمان ثم عهد على ·

ومع ازدهار الاسلام وانتشاره فى ربوع الأرض زادت مكانة المرأة علوا واكراما ·· فكانت المرأة المسلمة منذ فجر الاسلام تشارك الرجل فى شتى ميادين الحياة ·

ـ شاركته فى الحرب : كطبيبة مسعفة ثم كمقاتلة بالسيف فى الصفوف الأولى ·

ـ وشاركته فى ميادين الفقه والعلم والدين ·· فكانت تعطى الرأى الفقهى والذى يسير عليه عامة المسلمين رجالا ونساء · وكانت تروى الحديث وهو أعلى منزلة فى الاسلام ·· وكانت تخطب فى الرجال فى المساجد تعلمهم شئون دينهم ودنياهم وهذا يقابل فى عصرنا الحاضر التدريس فى الجامعات والتشريع فى مجلس الأمة · وشاركته فى ميادين السياسة ·· فكان يأخذ عن رأيها ويسمع لمشورتها ·· وكانت تشارك فى بيعه الخليفة وفى نقد سياسته وفى توجيه النصح له ·

٢ ـ ثم ابتدأت مرحلة التخلف فى العالم الاسلامى :

وقد انعكست آثار هذا التخلف أول ما انعكست على المرأة · ففى أواخر الخلافة العباسية ·· ابتدأ الخلفاء يبعدون العنصر العربى ويجلبون الجنود الأتراك والمماليك لحمايتهم ·· واشتد ساعد الترك والمماليك الى حد أنهم كانوا يحبسون الخليفة فى قصره ثم يعيثون فسادا فى المدن الاسلامية ويخطفون النساء الجميلات من الطرق ويعتدون عليهن ·

وكانت هذه أول مرة تخشى المرأة المسلمة فيها الخروج الى الطريق والى الحياة العامة ·· وابتدأ ظهور البرقع وغطت المرأة المسلمة وجهها لأول مرة فى تاريخ الاسلام خوفا من أن يخطفها المماليك اذا رأوها جميلة ··

فالبرقع واليشمك وغطاء الوجه عادات مملوكية وتركية لم يأمر بها الاسلام ولكن الناس قد توارثوا هـذه العادات جيلا بعد جيل حتى ظن بعضهم أنها من تعاليم الدين · وهى فى الواقع أثر من آثار تخلف المسلمين ··

وبعد فترة الحـكم العباسى ظهـر الاتراك العثمانيون وحكموا البلاد العربية والاسلامية باسم الدين والخلافة أربعة قرون متوالية ويقول المؤرخ البريطانى الشهير توينبى فى كتابه «مدخل تاريخى للدين» ·

«ان الأتراك العثمانيين عندما اعتنقوا الاسلام دخلوه ومعهم تقاليدهم الموروثة لم يتخلوا عنها ·· وعندما أصبح الحكم والخلافة فى أيديهم فرضوا تلك التقاليد التركية على العرب ·· ومع مرور الزمن أصبحت تلك التقـاليد تنسب ظلما الى تعاليم الاسلام وهو منها برىء» ·

وكان أبـرز مافى تلك التقاليد هـو احتقار القبائل التركية للمرأة واعتبارها مخلوقا أقل شأنا وذكاء من الرجل· فهى فى البيت تحبس فى الحرملك مع العبدات والأغـوات والخصيان والصبيان · ولاترى العالم الخارجى الا من الفتحات الضيقة التى كان يسمح لها بالنظر منها سواء من المشربية أو من الحجاب السميك الذى يسـدل على وجهها وعلى عقلها معا ·

أما خارج البيت فهى تسير وكأنها خيمة متحركة لايبين

منها سوى حدق عينيها .. فاذا كانت من أسرة ثرية جعلوا لها هودجا مغلقا أو عربة محكمة وحـولها الحـراس الذين يراقبون خلجة عينيها حتى لاتنظر الى الناس أو ينظر الناس اليها .

ولم يكتف الحكم التركى بذلك . بل فرضوا تلك التقاليد بقوة القانون وكانوا ينزلون أبشع أنواع العقاب البدنى بمن يخالفها . فمن الوثائق المعروفة فى التاريخ ذلك الفرمان الذى أصدره السلطان سليمان بن سليم فى القرن ١٦ الميلادى (١٥١٧ م) بأنه قـد أصـبح المالك الحر لجميع أرض مصر ويصبح الفلاحون (أصحاب الأرض) عنده أجراء وملتزمين .

وفى نفس هذا الفرمان الذى ينهب فيه السلطان أموال المسلمين العرب وحقـوقهم ويعتبر الشعب كله أجـراء فى خدمته . نجد هذا السلطان الفاجر يحـاول استمالة الجهلة والسذج البسطاء من المتدينين العرب فيقرر «ان كل امرأة تسير كاشفة وجهها فى الطـريق بغير حجـاب تعاقب بقص شعرها بالموسى (الشفرة) وتمتطى حمارا بالمقلوب وتعرض فى الأسواق العامة بين تصفيق الصبية وصياح المتفرجين» .

وقد بلغ الأمـــر فى تلك الفترة من التخلف أن أفتى بعضهم بتحريم قراءة القرآن على النساء ومنهم من حرم عليهن الاستماع الى القرآن باستثناء سورة (١) النور لما فيها من عقاب وتعذيب للكافرين . كذلك حرموا على المرأة دخول جامعة الأزهر . ولما كان الأزهر هو باب التعليم الوحيد فى ذلك العصر .. فمعنى ذلك حرمانها من التعليم اطـلاقا .

---

(١) من كتاب « مقدمة فى تاريخ التعليم فى مصر الحديثة » لمؤلفه ص ١٤ .

وكان التعليم الوحيد الذى تناله عن طريق أمها الجاهلة . أو الماشطة التى تنظف شعرها من الحشرات .

وبذلك عاشت المرأة المسلمة عمرها كله حبيسة الحرملك لاتخرج منه الا الى القبر .. وكان الأزواج يضعون ثقتهم فى الخصيان أكثر من ثقتهم بالزوجات ويسمحون للعبد المخصى(١) بتأديب زوجاتهم وضربهن باذن منهم . فليس بمستغرب بعد ذلك كله أن تهون الأمة الاسلامية كلها .. وأن يتوالى المستعمرون الاوروبيون من الفرنسيين والانجليز والطليان على حكمها .. فأى أمة تهون نساؤها وتهدر كرامتهن بهذه الطريقة المشينة تصبح بلاشك أمة ذليلة مهينة أمام غيرها من الشعوب .

وهكذا تغيرت الصورة . وتحولت المرأة المسلمة من النور الى الظلام . ومن مشاركة الرجل فى كل ميادين الحياة سواء منها الاجتماعية أو العلمية أو السياسية .. وفى ميادين العمل والانتاج .. وأصبحت كما مهملا . وعضوا أشلا تعيش سجينة فى الحرملك فريسة الجهل والتفاهة والترهل .. ولا عمل لها الا الخوض فى سيرة الحموات والضرات مع الجارات وفى طريقة تبديد ثروة الزوج ودخله حتى لايتزوج عليها .

٣ ـ ثم ابتدأ عصر الصحوة الحديثة :

وكما يقول الحديث النبوى «ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها» .. ومنذ بداية القرن التاسع عشر ظهرت أجيال من العمالقة المصلحين .. الذين انبروا للدفاع عن مكانة المرأة المسلمة وتحريرها من قيودها .

---

(١) من كتاب « لمحة عامة الى مصر » تأليف كلوت بك ترجمة محمد مسعود .

وكان أول من أضاء الشعلة الشيخ رفاعة الطهطاوى ثم تلاه الشيخ جمال الدين الأفغانى المتوفى سنة ١٨٩٧ والذى يعبتر الثـــائر الأول والرائد لكل مفكرينا فى عصر النهضة الحديثة وتلاه فى حمل الشعلة تلميذه وزميله فى الجهاد الشيخ محمد عبده . ومن هذه المدرسة تخـــرج جيل عظيم من قادة الرأى والفكر العربى وقادة التحرير .. ومن هؤلاء لطفى السيد وسعد زغلول ومحرر المرأة قاسم أمين وحافظ ابراهيم وأحمد شوقى ثم العملاقان طه حسين والعقاد . ومن النساء ظهـــرت مى زيادة وعائشـــة التيمورية وملك حفنى ناصف وهدى شعراوى وغيرهن كثيرات .

ومن الطبيعى أن تلتقى آراء هؤلاء جميعا رغم اختلاف أجيالهم وثقافتهم على نقطة رئيسية .. وهى أن قضية (تحرير المرأة) هى بداية الاصلاح الحقيقى لكل مشاكل التخلف فى الأمة العربية ... وأنه لا أمل فى اصلاح احوال أمة يعيش نصفها حبيس الحرملك مع الجهل والعزلة .. ويتخرج اطفالها وشبابها وقادة المستقبل فيها من مدرسة الحرملك .

ابتدأ الـــرواد الاوائـــل مثل الأفغـــانى ومحمـــد عبده والطهطاوى حملتهم هذه بالدعوة الى تخليص الاسلام وتنقيته من أفكـــارنا وتقاليدنا الموروثة والدخيـــلة عليه .. وقاموا بتفسير القرآن والشرع تفسيرا عصريا يرد الى المرأة كيانها واعتبارها . وفضل هؤلاء الرواد الثلاثة يرجع الى انهم أعظم رجال دين فى عصر النهضة الحديثة .

ومن المعروف عن الشـــعوب العربية أنها لشـــدة تعلقها بالدين لاتتقبل أى دعوة الى التغيير والاصـــلاح الا اذا جاءت من رجل دين تعتبره ثقة وحجة ومرجعا فى شئون الفقه .. والا اذا قامت هذه الدعوة على اساس دينى .

ففى سنة ١٨٧٣ م الف الشيخ رفاعة الطهطاوى كتابه « المرشد الأمين للبنات والبنين » وكان هذا الكتاب أول دعوة شجاعة من رجل دين متخرج من الأزهر يدعو الى خروج المرأة المسلمة الى الحياة العامة والمشاركة فى معاهد العلم ففيه يقول فى باب «تشريك البنات والصبيان فى التعليم والتعلم وكسب العرفان » ينبغى صرف الهمة (١) فى تعليم البنات والصبيان معا فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ويجعلهن بالمعارف أهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والراى فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقـــامهم وليمكن للمرأة عند اقتضـــاء الحال ان تتعاطى من الاشغال والاعمال ما يتعاطاه الرجال ويقول الشيخ الطهطاوى عن توظيف المرأة « ان المرأة التى لا عمل لها تقضى الزمن خائضة فى حديث جيرانها وفيما يأكلون ويشربون» ٠

ولكى يأخذ القارىء فكرة عن علم شيخنا الكبير المتحرر يكفى ان يعرف أنه كان مدرسا فى الأزهر واماما ٠ ثم سافر الى باريس اماما للمبعوثين المسلمين هناك فى عهد محمد على فاذا به ينبغ ويتفوق عليهم فى علوم الدنيا الى جانب نبوغه فى علوم الدين فيدرس الطب فى كلية الطب بباريس ثم يدرس المدفعية والعلوم العسكرية فى كلية المدفعية الفرنسية وله كتب فى الفلسفة والعلوم والجغرافيا والتاريخ والطب والفقه والشرع ٠

وفى سنة ١٨٨٠ نشر الشيخ محمد عبده آراءه العلمية الحديثة فى تفسير القرآن فى الوقائع المصرية أولا ثم كتابه رسالة التوحيد ومنها تفسيره الشجاع لرأى الاسلام فى الزواج والطلاق وتعدد الزوجات وشروطه وقيوده ٠٠ وهذه الآراء

---

(١) كتاب « المرشد الامين للبنات والبنين » رفاعة الطهطاوى ص ١٦ ٠

مازالت موجودة حتى يومنا هذا المرجع الأول لكل من تبعوه من قادة الفكر الحديث ٠

٤ ـ قاسم أمين وأول نداء صريح لتحرير المرأة (ولد سنة ١٨٦٥ توفى سنة ١٩٠٨) ٠

في سنة ١٨٩٧ توجه قاسم أمين الى جنيف حيث اجتمع بالشيخ محمد عبده في حضور سعد باشا زغلول ولطفى السيد (١) وأعلن عن اعتزامة بداية حملة جريئة وصريحة لتحرير المرأة المسلمة فى العالم العربى ٠ وتتلخص هده الدعوة فى ثلاثة معالم رئيسية : السفور ،التعليم ٠ الاختلاط٠

والقصد بالسفور هنا هو نبذ البرقع أو النقاب وكشف الوجه (وكان النقاب سائدا) فى ذلك العصر ٠ والقصد بالتعليم هو حق المرأة فى التعليم دون قيد او شرط ٠ والقصد بالاختلاط هو عدم قصر المرأة فى بيتها والسماح لها بمخالطة الرجال فى المجتمع ٠

وتلا قاسم أمين على الشيخ محمد عبده فصولا من كتابه (تحرير المرأة) قبل ظهوره فوافقه على ماجاء فيه وشجعه حتى قيل ان بعض فقرات هذا الكتاب الثورى تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده ٠ وثارت الرجعية فى مصر والعالم العربى ضد قاسم أمين وأفكاره التى هوى بها كالسيف البتار على التقاليد ٠ الموروثة والمقدسة لدى عامة الناس ٠٠ وكما قيل من قبل لكل مصلح وثائر فى العالم العربى ياكافر يافاسق يازنديق » كذلك كانت هذه الكلمات تطارد قاسم أمين اينما ذهب ٠٠ بل لقد ذهب بعض الفجرة من أدعياء الغيرة على الدين الى بيته فى غيابه فلما فتحت لهم زوجته قالوا

---

(١) انظر لطفى السيد كتاب « قصة حياتى » ٠

لها انهم يريدون الخـروج معها فى نزهـة خلوية ومرافقتها طالما ان زوجها يدعو الى الاختلاط ويحبذه · وحورب قاسم فى وظيفته ورزقه ووشى به الكائدون لدى الخديوى فمنعه من دخول قصره باعتباره » « كافر وفاسق وزنديق » ولكن قاسم صمد صمود الواثق من صدق دعواه ونزاهتها هو الذى يعرف ان تلك الكلمات قد قيلت من قبله للامام الفاضل ابى حنيفة وللامام الشافعى وللافغانى ومحمد عبده ولكل مصلح دينى واجتماعى فى عالمنا العربى يتحدى التقاليد الموروثة وسلطانها ·· وأخرج المعارضون عدة كتب فى الرد على قاسم وأهم هؤلاء المصلح الاقتصادى الكبير طلعت حرب الذى الف كتابين هما «تربية المرأة والحجاب» وفصل الخطاب فى المرأة والحجاب » ·· وكما استشهد قاسم على آرائه بالقرآن والسنة كذلك استشهد معارضو حرية المرأة بالقرآن والسنة أيضا ·

وفى ذلك الوقت لم يكن هناك تليفزيون ولا سينما ولا اذاعة تشـغل الناس عن التفكير بل كان للكتاب والصـحيفة اليومية دورهما الخطير فى أحداث الثورات والهزات الفكرية فى المجتمع ·· وفى ذلك الوقت كانت فى مصر صحف قليلة جدا ولكنها حرة ولا تمتلكها الدولة ·· ومن هنا كانت لها فعاليات كبيرة · ومن هذه الصحف (اللواء) (والمنار) اما صـحيفة اللواء فقد عارضـت قاسـم بعنف وفتحت ابوابها للمعارضين يهاجمونه بكل قسوة ويرمونه بأنه (ممن تخطف زخارف التمدن الأوروبى بصائرهم · فيرى المحاسن ولايبصر المساوىء) ·· هذا علاوة على التهم المعتادة مثل الانحراف عن الدين ومخالفة اجماع الأمة ··· والدعوة الى الضلالة ·

أما (١) (المنار) فهى الصحيفة التى يصدرها المفكرالكبير

---

(١) المنار : ١٥ يوليو سنة ١٨٩٩م ·

محمد رشيد رضا تلميذ الشيخ عبده فقد بادرت الى تأييد قاسم أمين · وتصدت لمن حاربوه : ــ « فقــالت » ان أكثر هؤلاء المنتقــدين يســيرون فى انتقــادهم على غير هــدى · ويثرثرون بما تمليه عليهم خيالاتهم التى أثارتها أهواؤهم وعاداتهم » ·

«ومن أهم مقالاتهم فى هذا المجال»

« اذا توهم بعض القراء ان ماورد فى كتب الفقهاء من استحسان عدم كشف وجه المرأة وعدم مخالطتها للرجال دفعا للفتنة ·· هو من الأحكــام الدينية التى لا يجوز تغييرها فنقول ان هذا الاعتراض مردود بأن الأحكام الشرعية جاءت فى الغالب مطلقة وجارية وعلى ما تقتضيه العادات الحســنة ومكارم الأخــلاق ، ووكلت (١) فهم الجزئيات الى أنظــار ، المكلفين ووضعتها تحت اجتهادهم وعلى هذا جرى العمل بعد وفاة النبى بين أصحابه واتباعه ·

ويبدو فى هذا الكلام نفحة من أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه وان لم يظهر فى الصورة ·

اما رجال السياسة فكان لهم موقف خاص من دعوة قاسم امين · يتســم بالحــذر والحيطــة حتى لا يخسروا قواعــدهم الشعبية · وقد شاهدوا كيف ان دعوة قاسم امين قد مســت كل اصدقائه وفى مقدمتهم صديقه الشيخ محمد عبده الذى اتهم بأنه المحرض الحقيقى وراء دعوة تحرير المرأة ولكنه تستر وراء قاسم امين ·· ومن هؤلاء الساسة الزعيم الكبير مصطفى كامل الذى أمسك بالعصا من النصف · فوافق قاسم أمين على دعوته الى تعليم المــرأة وعــارضه فى الدعــوة الى تحريرها بمعنى الاختلاط وفى ذلك يقول «اما حرية المرأة

---

(١) المنار : ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٩م ·

فلا محل للحــديث عنها الآن وعملية التطور الطبيعى ســوف تسير سيرها المحتوم وفرق بين التطور والتطوير القسرى الذى لا يؤمن معه من سوء العاقبة »

اما سعد زغلول فقد كان صديقا شخصــيا لقاســم امين وكانت زوجة قاسم صديقة لأم المصريين صــفية زغلول ٠ وكانتا تتزاوران عائليا ٠٠ ويعتبر سعد زغلول نصيرا عمليا لتحرير المرأة والاختلاط دون أن يتكلم فى ذلك فى خطبه وكتاباته ويكفى أن زوجته أم المصريين كانت تقف الى جانبه فى جهاده كســيدة مجتمع ومجــاهدة وطنية ٠٠ لم يحجزها حجاب ولم تمنعها التقاليد ٠

٥ ـ انتقال المعركة الى العالم العربى والى ميدان الشعر :

كانت الصحف المصرية تصل بانتظام الى الشام والعراق حاملة دعوة قاسم ورد المعارضين ٠٠ فانقسم الناس هناك كما انقسموا فى مصر ٠ وكانت تصل الى العراق خمسة آلاف (١) نسخة من الجرائد المصرية اسبوعيا وهو فى ذلك العصر رقم كبير ٠٠ وظهر فى العراق والشــام قلة من المؤيدين لدعــوة قاسم ٠٠ وبعضهم أعلن تأييده بصراحة وبغير تخف فاكتوى بنــار المعــركة ٠٠ ومن هؤلاء شاعر العراق الكبير جميل صدقى (٢) الزهاوى (١٨٦٣ ـ ١٩٣٦) فقد نشر قصــيدة يقول فيها : ـ

اسفرى فالحجاب ياابنة فهر	هو داء فى الاجتماع وخيم
كل شىء الى التجــديد ماض	فلمــاذا يقر هــذا القديم
انزعيه ومزقيــه فقد أنكر	ه العصر ناهضا والحــلوم

---

(١) قاسم أمين للدكتور ماهر حسن فهمى ص ١٣٦ ٠

(٢) جميل الزهاوى ، دراسة لناصر الحافى نشره معهد الدراسات العربية ٠

لم يقل بالحجاب في شكله هذا نبي ولا ارتضـاه حـكيم
هوفي الشرع والطبيعة واذوا ق والعقـل والضمير ذميم
لايقي عفـة الفتاة حجـاب بل يقيها تثقيفها والعـلوم

ويكفي أن تعـلم أن الحملة ضد الزهاوى فى العـراق بسبب تأييده لتحـرير المرأة قد وصلت الى حـد فصله من وظيفته • والى قبوعه في داره خشية اذى الناس ومحرضيهم من أنصار الجمود •

وقد حرص مؤيدو تحرير المرأة في العالم العربى على ابراز نقطة هامة فى دعواهم •• وهى أنهـا لاتتعارض مع مصطفى كامل الذى امسك بالعصا من النصف • فوافق قاسم على تعاليم الدين السمحاء وان أعداء الاختلاط الذين يتمسحون بالدين هم فى الواقع يدافعون عن التقاليد الباطلة الموروثة عن عصور التخلف ثم يحاولون أن يلبسـوها بلباس الدين والدين منها براء •• وفى ذلك يقول أحـد الشـعراء (١) بالشام :

ظلموك ياحواء جهلا مطبقا والمرء مظلوم اذا لم يظـلم
قلبوا قواميس الحياة فأثقلوا عطفيك فى عبء الحجاب المؤلم
ما الدين الا نفحة روحيـة بثت لترشد كل ذى قلب عمى
تلك العقائد فصلت من جاهل متغطرس أو أحمـق متعمم
هم حرموا للناس كل محلل هم حللوا للناس كل محـرم

أما حافظ ابراهيم (١٨٧١ م ـ ١٩٣٢ م) فقـد كان أكثر تحفظا فى تأييده لتحرير المرأة وحاول أن يأخذ طريقا وسطا ومتزنا •• فقال فى قصيدته المشهورة والتى صارت أبياتها مضرب الأمثال :

---

(١) الشعر الحديث فى الاقليم السورى ص ٣٢١ •

من لى بتربية النساء فانهــا في الشرقعلة ذلك الاخفاق

ثم يمهد لتأييده لتحرير المرأة بقوله :

أنا لا أقول دعوا النساء سـوافرا
بين الرجال يجلن في الأســـواق

ولكنه بعد ذلك يشرح رأيه فيقول :

كـلا ولا أدعـــوكم أن تسرفوا
في الحجب والتضييق والارهاق

ليست نساؤكم حلى وجـواهرا
خوف الضياع تصان في الأحداق

ليست نســاؤكم أثاثا يقتنى
في الدور بين مخـادع وطباق

تتشكل الأزمـان في أدوارها
دولا وهن على الجمـود بواقى

فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا
فالشر في التقييد والاطـلاق

ثم يؤكد حافظ ابراهيم (١) على أهمية التربية الدينية والعلم والثقافة في وقاية البنت في حالة الاختلاط .. وفي تحصينها وسط المجتمع فيقول :

ربوا البنات على الفضيلة انهـــا
في الموقعـين لهـن خـير وثـاق

وعليـكم أن تسـتبين بنـاتكم
نور الهدى وعلى الحيـاء البـاقى

---

(١) ديوان حافظ ابراهيم .

ثم انتقلت المعركة الى الأغنية والتمثيلية المسرحية ·
وهذا هو السيد درويش الذى لم يترك قضية وطنية واجتماعية تشغل الشعب الا طرقها يغنى لتحرير المرأة فيقول : —

يامـا شـوفنا من الستات طلعوا وعملوا مظـاهرات
اشـمعنا فى اوربا البنات لهم صـوت فى الانتخـابات

ويقول مؤيدا تحرير المرأة :

دا وقتـك دا يـومك يابنت اليـوم
قومى اصـحى من نـومك بزياداكـى نـوم
وطـالبى بحقـوقك واخلصى مـن اللـوم

وقد ظل قاسم أمين بعد كتـابه (تحـرير المرأة) يراقب المعركة في دراسة متأنية ويجمع آراء المعارضين والمؤيدين ·· وقد زادته هذه المعركة حنكة وثقة فى النفس حيث وجد أن دعوته الى تحرير المرأة :

أولا : لاتتعـارض مع نص من نصـوص الدين وقواعد الشرع ·

ثانيا : ان المعارضين لدعوته انما يدافعون عن لتقاليد الموروثة وان كانوا يلبسونها لباس الدين

ثالثا : انه فى كل عصر هناك جيلان من النـاس : جيل قديم يصعب عليه تقبل التغيير ولو كان الى الأفضل ·· وجيل شاب مثقف مرن يبحث عن الأفضل ويتقبل الرأى الجديد ·

وبناء على ذلك اصـدر كتابه الثـانى (المرأة الجديدة) سنة ١٩٠٠ م اى بعد سبع سنوات من صدور كتابه الأول ·· وقد جاء فى مقدمته وهو يخاطب الشباب :

« نحن لا نكتب طمعا فى ان ننال تصفيق الجهال وعامة الناس ٠ ٠وانما نكتب لاهل العلم وعلى الخصـوص للناشـئة الحديثة التى هى مستودع امانينا فى المستقبل فهى التى بما اكتسبته من التربية العلمية الصحيحة يمكنها ان تحل مسألة المرأة المكان الذى تحله من العناية والبحث » ٠

٦ ـ معركة تحرير المرأة فى القرن العشرين :
معركة الاختلاط فى جامعة القاهرة :

فى سنة ١٩٠٨ انشئت جامعة القاهرة والمعركة التى فجرها قاسم امين على اشدها وان كان قاسم قد توفى فى هذه السنة ٠ وكان على رأس الجامعة المفكر الكبير لطفى السيد باشا الذى اراد ان يوفق بين تعليم المرأة وبين عدم اثارة جحافل الرجعية المتربصة ٠

«فلجأ الى حيلة ذكية (١) فأمر سكرتارية الجامعة بشطب الخانة التى تقرر جنس الطالب ان كان ذكرا أم أنثى ٠٠ وبهذه الطريقة سـار الأمر بغير صـعوبة فى البداية فمهد الطريق لدخول الفتاة الجامعة» ٠

وهكذا تسربت المعركة الى الجـامعة الاولى فى العـالم العربى بعد انشائها بقليل ٠ وابتدأ الهجوم على أستاذ الجيل لطفى السيد ٠٠ فرد بدوره على أن تلك المعـارضة العنيدة لحقوق المرأة وحريتها لاتنبع من تعاليم الدين بل : (بسبب الفزع (٢) الذى أصاب المحافظين من الانتقال مما يألفون

---

(١) كتاب (تطور النهضة النسائية) د٠ درية شفيق ٠

(٢) كتاب (لطفى السيد أستاذ الجيل) للدكتور حسين فوزى (سلسلة اعـلام العرب) ٠

الى مالايعرفون ·· شأنهم أمام كل جديد من الأفكار والآراء» ·

وفى سنة ١٩٢٣ قامت أول ثورة سلمية نسائية ·· على تقييد حرية المرأة وذلك بقيادة زعيمة نساء الجيل هدى (١) شعراوى وكانت قد شكلت الاتحاد النسائي المصرى الذى شارك فى ثورة سنة ١٩١٩ ضد الانجليز ·· وقام بنشاط فائق فى المطالبة بتحرير مصر من الاحتلال ·· وفى سنة ١٩٢٣ كانت هى وأعضاء الاتحاد يشاركن في مؤتمر حقوق المرأة العالمى فى روما ··فاتفقن عند عودتهن الى مصر على أن يخلعن البرقع ويسرن سافرات فى شوارع القاهرة ·· فكان لهذا العمل دوى هائل فى جميع الأوساط والمحافل الصحافية والأدبية والسياسية فى مصر والعالم العربى كله ·· ولكن ايمانهن القوى بأنهن على الحق وأنهن فى حدود الشرع والدين جعلهن يصمدن حتى النصر وأصبح هذا النوع من الحجاب المهين الذى ظل قرون طويلة على وجه المرأة المسلمة وكأنه لم يكن بالأمس · ودخلت البنات كليات الجامعة بغير حجاب ·

ثم تولى حمل المشعل عملاقان آخران ·· هما طه حسين والعقاد فألف طه حسين كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) والذى أيد فيه التعليم المختلط ·· وفى سنة ١٩٣١ م ظهرت فى الصحافة اليومية صورة الدكتور طه حسين (وكان عميد كلية الآداب) فى حفلة جامعية ضمت الطلبة والطالبات جالسين بجوار بعض فى جو من الزمالة والاخوة مع عميدهم فقامت (٢) قيامة الرجعية وطالبوا باسقاط طه حسين ·

وقد بلغت الحملات ضد تحرير المرأة فى مصر أوجها

---

(١) الحركة النسائية الحديثة : د· احلال خليفة

(٢) تطور النهضة النسائية (مرجع سابق) ·

سنة ١٩٣٧ حين أثارت بعض الجماعات الدينية المتطرفة الجماهير فى مساجد القاهرة ضد الاختلاط فى الجامعة وخرجت المظاهرات تطالب باغلاقها ٠

ومع ذلك فلا يصح الا الصحيح ٠٠ ولايتغلب الا العقل والمنطق ٠٠ والا المبادىء القويمة :

وهكذا حققت دعوة قاسم أمين أهدافها ٠٠ فقد اختفى البرقع أو اليشمك من العالم الاسلامى ٠٠ ولم تعد تلبسه الا الشواذ من النساء ٠٠ وفتحت أبواب التعليم أمام المرأة بدون تمييز ٠ وخرجت المرأة الى المجتمع وأثبتت وجودها فى كل ميدان ٠

دور المرأة فى معركة الاختلاط :

كان لفتح أبواب التعليم أمام المرأة أثره العظيم فى نجاح الحملة لتحريرها ٠ فقد أصبح منهن المحامية والكاتبة الأديبة ٠٠ والمدرسة فى الجامعة ومديرة الأعمال ٠٠ الى جانب الوظائف الأخرى المتخصصة كالطب والهندسة والعلوم ٠٠ وبذلك تولت المرأة لأول مرة الدفاع عن قضيتها بعد أن كانت مجرد متفرج ينتظر من يغلب لكى يقود القطيع ٠

وقد ظهرت قيادات نسائية مثقفة ٠ لعبت دورا كبيرا فى المجتمع المصرى ومن هؤلاء الأميرة نازل فاضل : كريمة الأمير (مصطفى فاضل) وكانت مثل أبيها من محبى العلم ومشجعية وكانا صاحبى أكبر مكتبة علمية فى مصر وقد أهديت هذه المكتبة الى الدولة وكانت تعقد فى منزلها الندوات الثقافية فيحضرها صفوة رجال الفكر فى مصر ومنهم (١) محمد عبده

---

(١) الحركة النسائية الحديثة : د٠ اجلال خليفة ص ٢٧ ٠

وسعد زغلول ـ وقاسم أمين ـ والمويلحي والهلباوى ومنهم أيضا (مى زيادة) وهى من أصل شامى ٠

ومن هؤلاء **ملك حفني ناصف** ابنة الشيخ الأزهرى الجليل حفني ناصف والتى كانت تلقب (باحثة البادية) وقد ألفت كتاب النسائيات سنة ١٩١١ وقد كتب عنها المؤرخ شارلز أدمز فى كتابه (الاسلام والتجديد فى مصر) قائلا (قامت ملك حفني ناصف ومرجل الغضب على قاسم أمين ودعوته مازال يغلى وحملت الشعلة فى الدعوة الى حقوق المرأة وحريتها ثم **حملت الشعلة هدى شعراوى** (١٨٧٩ م ـ ١٩٤٧ م) فأسست الاتحاد النسائى العربى هو أول اتحاد فى العالم العربى يطالب بحقوق المرأة وحريتها ٠٠

وكانت أول امرأة فى العالم العربى ترفع الحجاب فى حفل عام سنة ١٩٢٣ ـ وكان أبوها محمد سلطان باشا أول رئيس مجلس نيابى فى مصر مما ساعدها على ايصال صوتها الى الجهات الرسمية فى الدولة للمطالبة بالمساواة بين الجنسين فى التعليم وفى الحقوق السياسية ٠ كما طالبت بتعديل قوانين الطرق وتعدد الزوجات وحضانة الأولاد ٠٠ وقد أثبتت هدى شعراوى أن المرأة اذا ملكت حريتها يمكنها أن تؤدى الكثير للوطن مما يعجز عنه الرجال ٠٠ فقد أسست مدرسة ومشغلا مهنيا لتعليم البنات مجانا ليكسبن العيش الشريف ٠٠ وأسست دارا للعلاج المجانى وساهمت فى انشاء (جمعية منع المسكرات) ٠

وهناك أيضا نبوية موسى (١٨٩٠ ـ ١٩٥١) التى كانت أول امرأة عربية تحصل على البكالوريا ثم تتخرج فى الجامعة ٠٠ وكانت أول من شغل وظيفة ناظرة فى وزارة التعليم ٠٠ ورغم تمسكها الشديد بالدين والحجاب الشرعى حتى كانت

فى مظهرها أشبه براهبات الدير · فقد ثارت عليها جحافل الرجعية لتحرير المرأة فى كتابها (المرأة والعمل) ومجلة (الفتاة) التى كانت تصدرها ففصلت من وظيفتها الحكومية ولكنها واصلت رسالتها النبيلة حتى آخر لحظة من حياتها ·

٧ ـ معركة الاختلاط فى الكويت :

هذا عنوان كتاب ألفه سنة ١٩٨٣ أستاذ فى جامعة الكويت هو الدكتور محمد جواد رضا أستاذ التربية المقارنة بالجامعة · ولانه يدخل فى دراستنا هذه عن معركة الاختلاط فى العالم العربى والاسلامى بصفة شاملة فقد كان من المحتم أن نعرض له وأن نورد بعض مافيه من وقائع وأفكار · وأحب أن أبين هنا أن العالم العربى كله واحد فىمشاكله الاجتماعية بالذات وقد مرت جميع الدول العربية بنفس الظروف ى مرحلة التخلف ·· ثم دخلت فى عصر النهضة فى مراحل متفاوتة ولكنها متقاربة ·· وكما هو الحال فى كل مجتمع عربى فهناك دائما جيلان مختلفان كل الاختلاف ويمكن أن نسميهما الجيل القديم والجيل الجديد فالأول هو الجيل المحافظ الذى يتمسك بالقديم وبالتقاليد الموروثة عن الأجداد ·· وكثير من هؤلاء ينظر الى هذه التقاليد على أنها دين منزل أو أنها مستمدة من تعاليم الاسلام التى لاتحتمل التغيير أو التطوير ·

والجيل الثانى يتمثل فى الشباب المثقف الذى طاف العالم · وشاهد حياة الشعوب الأخرى·· وعاد بأفكار جديدة عن الحياة وعن مكانة المرأة فى المجتمع المتحضر ·

ومعروف أنالكويت شأنها شأن كلدول الخليج والبترول تختلف الظروف الاجتماعية فيها عن ظروف سائر·الدول

العربية الأخرى بأن الأمور فيها قد سارت بطفرة سريعة ‥ وبصورة لم تحدث فى أى مجتمع آخر ‥ فقد قفزت فجأة من مجتمع البداوة والبدائية الى مجتمع القرن العشرين ٠ ومن مجتمع الأمية المطلقة الى جامعة على أعلى المستويات ٠ ومن الفقر المدقع الى الرخاء الشديد ٠ ومن هنا فقد كانت الهوة بين الجيلين كبيرة الى أبعد الحدود ‥ وقد بدأت معركة الاختلاط فى الجامعة ‥ ثم انتقلت الى الصحافةومن الصحافة الى كل بيت وأسرة ‥ ونفس ماحدث فى جامعة القاهرة فى الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن قد حدث وتكرر بصورة مشابهة فى جامعة الكويت فى الثمانينات ٠ فقد كانت هناك ندوات علمية وفكرية أول الأمر لتدارس تجربة الاختلاط فى الجامعة ٠ وتقييمها ولكن سرعان ماتدخلت عناصر من خارج الجامعة لتعطل الفكر والرأى ··· وانقلب الحوار الفكرى الى العنف والتشابك بالأيدى ثم الى مظاهرات ومسيرات خارج الجامعة تطالب بحماية الفكر وحماية حرمة الجامعة مما اضطر مجلس الأمة ومجلس الوزراء الى تدارس الأمر والعمل على احتواء الضجة ومنع تكرار الصدام ٠

الباب الرابع

الاختلاط فى علم الاجتماع

١ ـ طرق الزواج فى غياب الاختلاط ٠

٢ ـ حرية اختيار شريك الحياة ٠

٣ ـ الوفاق فى الحياة الزوجية ٠

٤ ـ تفكك الأسرة المسلمة فى غياب الاختلاط ٠

٥ ـ الاختلاط يصلح اخلاق الأمة شبابا ورجالا ٠

٦ ـ الاختلاط يظهر العبقرية والطموح ويقتل الكسل والخمول ٠

٧ ـ الاختلاط يزيد المرأة تدينا واحتشاما وثقافة ٠

٨ ـ الاختلاط يزيد طاقات الأمة وانتاجها ٠

٩ ـ الاختلاط والخدمة الاجتماعية ٠

١٠ ـ المجتمع الانفصالى واخطاره الاجتماعية والنفسية ٠

الاختلاط فى علم الاجتماع :

الاختلاط هو الفطرة السليمة التى فطر الله المجتمعات الانسانية عليها ٠

ولذلك نجد الاختلاط أمرا طبيعيا فى المجتمع الريفى الذى يعيش على الفطـرة والبراءة والذى يسـوده الأمـان والعلاقات الأسرية الطيبة ٠٠ فهو قضية مرتبطة بالشـعور بالأمان وبمجتمع الأسرة الواحـدة ٠٠ ففى الأرياف تجـد الفلاح والفلاحة يعملان معا فى تمهيد الأرض وبذر الحبوب وفى الرى وجنى الثمار ٠٠ وفى كل مظاهر الحياة العامة ٠٠ بينما يقل الاختلاط فى مجتمع المدينة حيث يقل الامان ٠٠ وتنطوى كل أسرة على نفسها فلايدرى أحد مشاكل جيرانه ٠٠ ولا أحوالهم ٠٠ وذلك بسبب فقدانهم للثقة والتراحم ٠٠ وهذه طبعا من أهم مظاهر المجتمع الممزق المتخلف ٠

فالاختلاط ظاهرة اجتماعية وانسانية وحضارية ملحة ولازمة لتكوين المجتمع الصحى الخـالى من العقد النفسـية والجنسية والذى تتعاون فيه الأسر الكريمة وتتزاور وتتعاون فيما بينها على البر والتقوى والآمر بالمعـروف والنهى عن المنكر ٠٠ المجتمع الخالى من بذور الشر والشك ٠٠ وعوامل الحسد والكراهية المتفتح على العمل والانتاج ٠ الغير متبلد ولا متجمد ٠٠ ويكفى أن نقول ان أحد أهداف خلق الانسان على ظهر الأرض هو التعـارف بين الجنسـين لبنـاء الأسرة

واستمرار الحياة .. فالله تعالى يقول «**انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**» فجعل التعارف بين الذكر والأنثى وبين الأسر والعائلات أشرف غايات خلق الانسان .

وقد بينا فى الأبواب السابقة ماذا نقصد بالاختلاط بوضوح لايترك مجالا للشك والتأويل .. وقلنا انه فى حدود ماسمح به الاسلام ووضعه من آداب وقواعد للمعاملة . ثم بينا رأى الدين فى هذه القضية . وضربنا الأمثلة على تطبيق الاختلاط فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ..

وأعتقد صادقا أنه لايجوز لأى معترض بعد هذا كله أن يقول ان الاختلاط بهذا الاسلوب الذى ندعو اليه قد يؤدى الى انتشار الفتنة والفساد . حقيقة أن الانحرافات موجودة فى كل مجتمع .. وقد كانت هناك انحرافات أخلاقية حتى فى وقت نزول الرسالة .. والرسول حى ينزل عليه الوحى. ولكنا نقول ببساطة .. ان المجتمع المتفتح الذى يحدث فيه اختلاط نظيف شريف أقل فتنة وفسادا من مجتمع الحرملك الذى تحبس فيه المرأة وتمنع من الخروج الى الدنيا . فنحن لاندعو الى اباحية مطلقة كما يحدث فى اوروبا وفى نفس الوقت نحارب الكبت المطلق كما هو فى مجتمعنا الحالى المغلق .. ولكننا نريد الحل الوسط الذى شرعه الاسلام .

والآن بعد أن أفضنا فى شرح الجانب الدينى والتشريعى من الاختلاط نتكلم هنا عن آثاره وفوائده الاجتماعية .

طرق الزواج فى غياب الاختلاط :

فلننظر الى أسلوب اختيار الزوجة فى مجتمعنا العربى المعاصر بشىء من العقل والرغبة الصادقة فى الاصلاح .

الطريقة الأولى : هى زواج الأقارب ·· وهى طريقة يضطر اليها الكثير من الشباب باعتبار أن أبنة العم أو ابنة الخال هى الأنثى الوحيدة التى يستطيع أن يختلط بها ويتحدث اليها قبل الزواج ·· وبعض العائلات فى المدن والأرياف الاسلامية لايعرفون سوى زواج الأقارب جيلا عن جيل ·· ولهذه الطريقة أخطارها الاجتماعية فهى تنجب نسلا ضعيفا فى ذكائه وبنيته وقد يصل الأمر الى حد الاعاقة وشتى العاهات والأمراض الوراثية ·· هذا علاوة على مايتبع هذه العادة من اجحاف وظلم فى كثير من الأحيان فقد يكون أحد الخاطبين لايحب الآخر أو غير كفؤ له ومع ذلك يضطران الى الزواج تحت ضغط الأسرة والتقاليد وأهم من هذا لعدم وجود البديل ·

الطريقة الثانية هى الخاطبة :

وقد كانت هذه احدى وسائل الزواج الرئيسية فى العالم الاسلامى لقرون طويلة ·· وهى طريقة بدائية جدا لأنها أشبه بالصفقات التجارية · ولا يرضاها لنفسه انسان مثقف يعتز بشخصيته ·· وكثيرا ماتقع الأسر الكريمة فى أحابيل عصابات الخاطبات التى تبتزها عن طريق حصولها على صور أو خطابات بريئة من الشباب ثم ينقلب الأمر الى التشهير والابتزاز اذا لم تحصل على ماتريد ·

الطريقة الثالثة عن طريق الأم :

فكثير من الأسر المسلمة المحافظة على التقاليد ·· يظل غافلا عن أولاده وبناته : فهم يحرمون عليهم أى نوع من الاختلاط بالجنس الآخر · واذا سمعوا أن ابنتهم تكلم شابا أهانوها وحبسوها فى البيت ·· واذا كلم ابنهم فتاة اعتبروه

فاسقا ومنحلا ·· ويظل الحال كذلك الى أن يفاجأ بأن الأبناء قد كبروا وتعدوا سن الزواج : فتخاف الأم على البنت من العنوسة وهي حبيسة البيت ·· ويخافون على الولد من الزلل والانحراف ورفاق السوء · فتخرج الأم المسكينة تبحث هنا وهناك تزور الخاطبات المحترفات ·· أو تطرق أبواب الجيران والأقارب ·· حاملة معها صور ابنها أو ابنتها ·· وتطلب منهم عريسا للبنت أو عروسة للولد · وهذا الاسلوب المرتجل كثيرا ما انتهى بتوريط الشباب ويوقع الأسر والعائلات فى مشاكل وحزازات لاتنتهى · وكثيرا مانسمع عن أقارب أو جيران متخاصمين لان الأسرة خطبت الفتاة وأعلنت الخطوبة ثم تراجعوا · أو أن الفتاة لم يعجبها الخاطب فصدته وجرحت كبرياءه ·· ومن هنا اشتهرت فى المجتمع العربى الحكمة التى تقول «امش فى جنازة ولا تمش فى جوازه» ·

الطريقة الرابعة : الزواج من الشارع والملهى :

وهو تصرف قد يلجأ اليه الشباب اذا سدت فى وجهه الطرق الأخرى وغالبا مايكون هذا التصرف عن غشم وجهالة وعدم خبرة ·· ففى غياب فرص الاختلاط التطبيق المهذب ببنات العائلات الكريمة قد يضطر الشاب الى ارتياد أماكن الفساد أو الحفلات الماجنة · التى ترتادها بنات الهوى ·· فاذا تزوج واحدة منهن تبدأ القطيعة بينه وبين أهله ·· ويحملونه وزر هذا الانحراف ·

الطريقة الخامسة : هى العزوبة أو العنوسة :

فكثير من الشباب من الجنسين على السواء ·· قد ييأس من ايجاد شريك الحياة الذى يناسبه ·· ويترفع بنفسه وكرامته عن أن يقبل أى شىء أو أى شخص ·· وتمر السنوات

وهو لايدرى ٠٠ فيكبر فى السن ويفوته القطار ٠٠ وتصبح الفتاة عانسا والشاب أعزبا ٠

الطريقة السادسة : الزواج بأجنبية :

فكثير من الشباب المسلم المتعلم ما أن تتـاح له فرصـة السفر الى الخارج للدراسة العليا حتى يضع فى ذهنه أن يهرب من هـذا المصير المظلم والطرق البدائية للزواج فى المجتمع العربى ٠٠

ففى هذا المجتمع الاوروبى سوف يجد أبواب الاختلاط بكل أنواعه مفتوحة على مصراعيها ٠٠ سـواء منها البرىء المهذب أو اللاهى الماجن وهو حتما سوف يجد مايناسب ذوقه وميوله والبيئة التى خـرج منها والواقـع أنه من الظـلم والاجحاف حقا أن نطلب من شاب وصل الى أقصى درجـات العلم ونال الدكتوراه فى الطب أو الهندسة أو الكمبيوتر ثم تطلب منه أن يختار شريكة حياته عن طريق خاطبة جاهلة أو أم عجوز ٠ ومن هنا فان الزواج بأجنبية قد يكون أكرم الحلول أمامه ٠٠ وان كنا نرى فى انتشار هـذا النوع من الزواج خسارة كبيرة للمرأة المسلمة ٠ وقد غدت هذه الظاهرة غالبة فى مجتمع دول الخليج العربى حيث أصبحت العنوسة العنوسة تشكل أزمة اجتماعية خطيرة ٠

الطريقة السابعة : الزواج بزميل الدراسة أو العمل :

تعرضنا فى الفقرة السابقة للطرق الوحيـدة المتـاحة لاختيار الزوجة فى المجتمع الاسـلامى حتى مطلع القـرن العشرين وفى غياب فرص الاختلاط السليم ٠٠ ولكن اليوم تغيرت الأحوال قليلا ٠٠ وخاصـة فى مصر وبعض البـلاد

العربية التى انتشرت فيها الجامعات المختلطة الى جانب أماكن العمل المختلطة ٠٠ فلأول مرة فى العالم الاسلامى أصبح فى امكان الشباب أن يرى كل منهم ندا له فى الثقافة والعلم ٠٠ وفى البيئة والنشأة ٠ وأصبحت فرص الاختلاط النظيف الراقى بالفتاة المثقفة الأصيلة ابنة العائلات الكريمة متاحة للتعارف واختيار شريك الحياة ٠٠ وذلك فى ظل الدراسة والعلم ٠٠ أو فى ظل العمل الشريف ٠

واذا كان هناك للأسف الشديد من يحارب هذا النوع من الاختلاط العفيف الشريف ٠ الذى لايتعارض مع الدين أو المنطق السليم ٠٠ وذلك بحجة الخوف من الفتنة أو الانحرافات ٠٠ فاننا نقول لهم : ان الحل هو أن نحارب الانحراف لا أن نحارب الاختلاط وأن نضع للاختلاط القواعد والضوابط التى تحميه من الأخطاء بدلا من ان نقتل هذه التجربة وهى فى المهد ٠٠ أو نحاربها لمجرد التمسك بالتقاليد ٠

فوائد الاختلاط

أولا : حرية اختيار شريك الحياة :

من اهم أهداف الاختلاط السليم ٠٠ اتاحة الفرصة لكل شاب وفتاة لحسن اختيار شريك حياته ٠٠ وذلك حتى ينجح فى بناء أسرة تقوم على الحب والتفاهم والوفاق ٠٠ ان الرجل الجلف البدائى قد يرضيه اى شىء وكل مايهمه من المرأة أن تكون اناء لتفريغ شهوته ٠٠ ومعملا لتفريخ الاطفال ٠٠ وهذا الصنف من البشر لايتطلب من المرأة أكثر من أن تؤدى هذه الوظيفة ٠٠ وفى عصور التخلف كان الرجل يكتفى بارسال أمه أو احدى أقاربه لعمل كشف هيئة على المرأة التى

يريد أن يتزوجها ·· فتمطيها أنواع (المكسرات كالبندق) لكى تتأكد من سلامة أسنانها · وتشد شعرها لتتأكد من أنها ليست صلعاء وتتحسس صدرها لتتأكد أن الثدى ليس صناعيا ·· ثم تحتضنها وتقبلها لكى تشم رائحة عرقها وفمها ·· فهو أسلوب أقرب الى طرق الكشف على البهائم قبل شرائها ·

أما اليوم فقد تغيرت أحوال الدنيا ·· وتعلم الفتى والفتاة ·· وسافروا الى الخارج وقرأوا وتثقفوا ·· وارتفع مستواهم الذهني والحضارى عن أسلافهم الذين تربوا فى الحرملك ·· وأصبح الشاب لايكفيه من الزوجة جمالها وشكلها فحسب بل يريد منها أن تكون شريكا كاملا فى الحياة بكل معانيها ·· أن تكون صديقا يملأ عليه وقت فراغه وندا كفؤا يستشيره فى كل قضايا حياته ·· ويفضى اليه بأسراره ·· وعاملة فى المجتمع ورفيقا فى الجهاد ومعينا على كسب العيش ·· وأهم من هذا كله يريد أن يكون بينه وبين زوجته حب وانسجام روحى ·· وانسجام ذهنى ·

وبديهى ان مثل هذه المتطلبات ليست بالأمر السهل ·· وان الخاطبة والأقارب لن يستطيعوا ان يسدوا عنه فى الاختيار ·· وانه لابد من الاختلاط فى المجتمع لكى يجد كل فرد نصفه الأخر ·· يستغرق ذلك منه سنوات طويلة من العمر فى البحث والدراسة ·

والان قد يقول قائل ان فترة الخطوبة تكفى لكى يعرف الخاطب كل شىء عن خطيبته ولذلك فلا حاجة الى الاختلاط قبل الخطوبة ·· ورغم ان هذا الرأى بدائى جدا وخاطىء الا اننا لكثرة ما نسمعه من المعارضين للاختلاط يجب ان نوفيه ردا وشرحا ·

فالمفروض منطقيا أن الخطوبة تأتى بعد التعارف والاختيار وليست البدايه . فالانسان يخطب الفتاة التى عرفها وفضلها عن غيرها من كل معارفه واحس نحوها بالميل والالفه والتقدير والانسجام .. وما فترة الخطوبة الا نوع من التاكد عن قرب مع الالتزام الأدبى أمام المجتمع .

ان الانسان فى الظروف الطبيعية قد يعرف اكثر من مائة فتاة ولكنه لا يشعر بالميل الا الى واحدة بالذات من كل هؤلاء .. فهل المفروض ان يخطب مائة مرة حتى يكتشف من تصلح له .. وماذا يحكم المجتمع على الشاب الذى يخطب عدة مرات ثم ينحسب مع ما يتبع ذلك من سوء التفاهم وسوء العلاقات بين الأسر واساءة الى الفتاة .

ثم كيف يستطيع الشاب اكتشاف الفتاة التى تصلح له وهو لم ير الفتيات فى حياته . ولم يخالط اى فتاة قبل الخطوبة .. واذا كان اختيار الصديق يحتاج الى خبره طويلة ومعرفة جيدة بطبائع الناس فما بالك باختيار الزوجة وما يلزمه من خبرة بطبائع النساء .

واذا سرنا مع هؤلاء الناس .. وافترضنا ان الشاب سال عن الفتاة واسرتها كما يقولون قبل ان يتقدم لخطبتها .. فعلم انها ذات خلق ودين .. وانها من أسرة محافظة ذات حسب ونسب ثم علم من أمه أن الفتاة جميلة ومتعلمة .. ثم تربص لها فى الطريق كما يقترح بعضهم .. فرآها مرة أو مرتين .. فهل يكفى ذلك لكى يتقدم لخطبتها وهو مطمئن الى أنه سيبنى اسرة تصمد مدى الحياة .

ان العواطف البشرية امر شديد التعقيد .. والنفس ليست بالبساطة التى نتصورها بحيث نجمع الموجب والسالب او المذكرو المؤنث فنخلق اسرة سعيدة موفقة .. وكلما ازداد

الانسان ثقافة وعلما وذكاء ·· كلما ازدادت نفسه وعواطفه تعقيدا وعمقـا ·· وكلما وجـد صـعوبة اكثر فى التواءم والانسجام مع أى شخص يختلف عنـه فى طبيعته وتفكيره وأسلوب حياته ·

منذ بدء الخليقة كانت حاجة الانسان البدائى هى حاجة البطن ثم الأمن ثم التناسل ·· وعندما ارتقى الانسان أصبحت له حاجة الذهن أى التعليم ثم ارتقى أكثر فاصبحت له حاجة القلب اى العاطفة ·

الانسان البدائى يطلب الضرورات التى تعينه على مجرد العيش والانسـان الراقى يطلب الكماليـات التى تهيىء له رفاهية الحياة · فى الطعام : الانسان البدائى ينشد الشـبع اولا ·· والانسان الأرقى ينشد نوع الطعام وذوقه اولا ·· وفى المسكن الأول يطلب مجرد أن يحميه من الطبيعة بينما الثانى يريد البيت جنـة أو متحفا أنيقـا · وفى التناسل أيضا : الأول مطلبه سد حاجة الجنس وأقصى شروطه الجمال والأخلاق والحسب والنسب · أما الثانى فلايكفيه هذا ·· بل هو ينشد الانسجام الروحى والذهنى ·

وهذا الانسجام الروحى والذهنى لا يكتشفه الانسان فى لقاء عابر ولكن بعد تعارف طويل عشرة وخبرة ·

ثانيا : الوفاق فى الحياة الزوجية :

من المعروف ان نظـام الزواج فى المجتمع المغلق الذى لا يسمح بالاختلاط نظام فاشـل ·· ودائما يؤدى الى كثرة الطلاق وتعدد الزوجـات ·· والى عدم الوفـاق فى الحيـاة الزوجية ·

وقد قدرت بعض المراجع ان بين كل ثلاث حالات زواج فى العالم الاسلامى واحدة تنتهى بالطلاق وهى نسبة رهيبة ومزعجة ٠

ولا شك أن احد الأسباب لذلك حرمان الرجل والمرأة من فرصة اختيار شريك الحياة الذى يتوافق معه روحيا وعقليا ٠٠ ويعلق احد علماء الاجتماع على ذلك بملاحظة ذكية وحساسة فيقول :

« ولا تظن ان هذا يختص بذوى الأخلاق الفاسدة من الرجال والنساء فقد تكون المرأة طيبة صالحة والرجل شريف الاحساس ولكن العيشة بينهما خصام مستمر ٠٠ ولا ذنب على احدهما بل الذنب على اختلافهما فى التربية والميول والعادات » ٠

ولاشك أن الكثيرين منا قد صادفوا مثل هذه الحالات عندما يكون الزوج انسانا مثاليا فى خلقه ودينه وعلمه ٠٠ وتكون المرأة نموذجا للزوجة الصالحة الكاملة ٠٠ فهى تمتاز بالجمال والعفة والاخلاص ٠٠ ولكن الأمور تصل بينهما فى الحياة الزوجية الى حد الاستحالة فى استمرارها رغم محاولة كل منهما للابقاء عليها بالتنازل عن بعض طباعه وعاداته وكثيرا ما يتدخل الأهل والأصدقاء بينهما ٠٠ فلا يجدون اسبابا مقنعة لهذه الخلافات ٠٠ ولكنه خلاف جذرى فى الطبيعة البشرية ٠

فأحيانا يكون أحد الزوجين عاطفيا مرهف الحس يريد من شريك حياته عواطف جياشة ٠٠ وأحاسيس يقظة حتى يبادله مودة بمودة وعطفا بعطف ٠

بينما الطرف الآخر بالفطرة التى خلق عليها واقعى بارد

الطبع لاينساق مع الخيال ·· ولايحب الاسراف فى العواطف وقد يصد صاحبه ويجرح مشاعره دون قصد منه فاذا التقى هذان النقيضان أصبحت الحياة بينهما جحيما ·

والأمثلة على هذه التناقضات كثيرة فى الحياة ·

- قد يكون أحدهما سطحيا ساذجا رغم التعليم والشهادات بينما الآخر عميق التفكير ·
- قد يكون أحدهما عصبيا كثير الصراخ بينما الآخر يحب الهدوء وراحة البال ·
- قد يكون أحدهما من النوع المنطوى الذى لايحب الحياة الاجتماعية بينما الآخر لايطيق البعد عن الناس والأصدقاء والمجتمع ·

وقد يحاول كل من الطرفين أن يغير بعض طباعه ·· وأن يتنازل عن عاداته التى هى جزء من طبيعته ·· وذلك رغبة منه فى الابقاء على عشه وعلى صاحبه ·· ولكن سرعان مايغلب الطبع التطبع وتعود الأمور على ماكانت عليه ·

ثالثا : تفكك الأسرة المسلمة فى غياب الاختلاط :

وقد يبدو هذا القول غريبا لأول وهلة · وقد يبادر بعضهم الى القول أن العكس هو صحيح ·· فالأسرة التى تبتعد عن غيرها من الأسر والتى لايدخل عليها غريب ولاترى قريبا أو غريبا من المفروض ان تكون فى مأمن من الفتن ·· وأن تكون أكثر ترابطا وراحة بال ·· فهل هذا صحيح ·· كلا ·

ففى غياب الاختلاط يضطر الزوج الى قضاء وقته كله خارج البيت ·· فهو نهارا فى عمله ·· وبعد الظهر يذهب

الى المقهى مع أصحابه من الرجال أو يزور أصحابه الرجال فى بيوتهم ·· ثم لايأتى الى بيته الا فى ساعة متأخرة من الليل بعد أن ينام الاطفال وتكون الزوجة قد أعياها السهر وسئمت الانتظار وأجهدت فى خدمة البيت وحل مشاكل الأطفال · فأى حياة هذه ·· وهل ننتظر لمثل هذه الأسرة أن تكون مترابطة ناجحة ·

ـ فالأطفال يربون بعيدا عن رعاية أبيهم وعن توجيهاته ورقابته وكثير منهم ينحرف مع رفاق السوء دون أن يفطن أحد الى ذلك الا بعد فوات الأوان ·

ـ وبعض الزوجات ممن لاترضى بهذه الحياة المملة قد تنحرف أيضا فتبحث عن المتعة والحياة فى غير بيت الزوجية ·

ـ والأخطر من هذا ما قد يحدث للرجل نفسه مع أصحابه من الرجال ·· فمنهم من يسحبه من المقهى الى مائدة الخمر والقمار أو الى مجلس المخدرات ·· بل أيضا الى بيوت الدعارة ·

وفى مجتمع الحرملك الذى ساد العالم العربى قرونا طويلة ·· لم يكن من الغريب أن تسمع عن رب أسرة : يظل طوال يومه لاهيا ضاحكا مع أصحابه · فاذا عاد الى بيته قطب عن جبينه وكأنه ليث أغبر · ولبس سيماء الجد والوقار وهو يلوح (بالمنشة) فى يد ويسبح بالمسبحة فى يد أخرى · فتنكمش الزوجة فى ركن من المنزل ·· ويخرس الأطفال فلايعرضون مشاكلهم ·· واذا جلس الى الطعام يأكل وحده · وبعد أن يقوم عن المائدة تأتى هى وأولادها لكى تأكل بعده ·· فاذا خرج من البيت فله دنياه ولهم دنياهم ·· والكل لاه عن الآخر · غافل او متغافل عما يدور بداخل البيت أو خارجه · انه مجتمع غارق فى الزيف حتى أذنيه · غارق

فى النفاق والفساد .. ولكنه يسدل ستارا من التعتيم والمظهر الكذاب لكى يخفى مابداخله .

وفى أحسن الأحوال .. واذا افترضنا أن هذه الأسرة كانت متمسكة بتعاليم الاسلام .. وأن الدين كان سياجا لها من كل انحراف أو فساد فى هذا المجتمع الانعزالى . فهل تظل أسرة مثالية ..

فهذا النوع من العزلة يزيد الهوة بين الزوج والزوجة أو يزيل الألفة والمودة بينهما .. وفى غياب هذه العواطف الانسانية يتصور الزوج أن هذه الزوجة لم تعد تشبعه عاطفيا أو تسد عليه فراغ حياته : فيلجأ الى الزواج مرة ثانية وثالثة . وهو يتصور أن هذا سوف يعوضه عما يفتقده فى الأولى . ولكن الصورة تتكرر .. بعد أن يضيف الىالمجتمع مشكلة أخرى بهؤلاء الأولاد الذين لايجدون من يربيهم ويوجههم وكثير من هؤلاء الرجال لاتعرف عنه زوجته وأولاده أنه متزوج من امرأة أخرى الا بعد وفاته وعندما يقتسمون الميراث .. فيظهر أن لهم اخوة من أبيهم وزوجات أب ينازعونهم وهم لايعلمون .. فكيف يكون شعورهم جميعا نحو هذا الرجل العزيز .

والآن نتساءل هل الاختلاط يصلح فى هذه الأحوال ويزيد الترابط والوفاق فى الأسرة ؟ ونقول نعم ..

فى وجود الاختلاط يستطيع الرجل أن يدعو العائلات الصديقة الى بيته .. وأن يجلس الجميع فى جو عائلى وأخوى يتبادلون الأحاديث الراقية والتسلية البريئة فتعم المنفعة والفائدة على الجميع رجالا ونساء وأطفالا .

وفى ظل الاختلاط يستطيع الرجل أن يصطحب زوجته

الى النادى أو الحدائق أو الرحلات المشتركة مع أصحابه وجيرانه بدلا من أن يبحث عن التسلية على المقهى وحده مع الرجال ٠

ولاشك أن الرجل الذى تلازمه زوجته فى وقت فراغه وتسليته سيضطر الى انتقاء أصحابه ممن يثق بهم ويطمئن الى خلقهم ودينهم على الأقل من باب الحفاظ على زوجته أما اذا كان وحيدا فلن يهمه كثيرا اختيار من يجالسه ويرافقه ٠

وبديهى أن ذلك كله يعود بالخير على الأطفال حين يجدون أباهم دائما بجوارهم يراقبهم ويوجههم فى البيت ويصطحبهم ليقضى حاجته ويرفه عنهم خارج البيت ٠

وكم أتمنى لو تتحول هذه المقاهى الرجالى المنتشرة فى شوارع العالم العربى الى مقاهى عائلية ٠٠ تجلس عليها الأسرة بجوار الأسرة ٠٠ ويلتقى فيها الشباب من الجنسين فى جو أسرى وعائلى لكى يتعارفوا ويختار كل منهم شريك حياته ٠

رابعا ـ الاختلاط يصلح أخلاق الأمة شبابا ورجالا :

من المظاهر الملفتة للأنظار فى شوارع العالم الاسلامى والتى كثيرا مايتندر بها المعلقون الأجانب ظاهرة تسكع الشباب فى الشوارع بلا عمل ٠ وكلهم عيون مبحلقة يتابعون النساء الرائحات والغاديات ٠ وأغلب هؤلاء الشباب من الهاربين من المدارس منذ بداية النهار فى محاولة مايسمونه (صيد البنات) أو معاكستهن ٠٠وكثيرا ماتصدر منهم صيحات بهيمية وغمزات مقززة تعبر عن الجوع الجنسى ٠٠ ومنهم من يتطاول بيديه لكى يلمس البنات والسيدات فى مواضع

حساسة من أجسادهن • فاذا كانت الفتاة من أهل الحى ذهبت الى أهلها تشكو وتبكى •• فتثور النخوة الشرقية فيهم ويخرجون بالعصى الغليظة وينهالون على الفتية المغامرين ضربا ولطما •• ثم يقتادونهم الى الشرطة حيث تنتهى مغامرة (صيد البنات) بالحجز فى المخفر يوما أو بعض يوم •

واذا قلنا أن أمر الشباب وتلاميذ المدارس يهون باعتبارهم مراهقين طائشين : فماذا نقول عن الرجال الأفاضل المتزوجين والذين يتسكعون فى صفوف طويلة على المقهى : وقد (برموا شواربهم) •• والذين يديرون رءوسهم ذات اليمين وذات اليسار وهم يبحلقون فى كل رائحة وغادية ويمطرونها بوابل من كلمات الغزل • والذين لايخرج حديثهم فيما بينهم عن دائرة النساء والجنس •• حتى أطلق أحد الظرفاء على المقهى الذى يرتاده (مقهى كبار المراهقين)•

واذا حدث أن خرج أحد هؤلاء الرجال مع زوجته فى الطريق : فانه يخاف أن يصيبه ويصيبها بعض مايفعله هو مع الآخرين •• فاذا به يتجنب الشارع الذى فيه المقهى •• واذا اضطر الى السير فيه سبق زوجته بأمتار حتى لايعرفها أحد معه • أو أدار رأسه عن أصحابه فلا يحيونه ولايحييهم وكأنه قد أتى منكرا أو فعل فاحشة • واذا ذهب الى محاضرة ثقافية أو دينية لايصطحبها معه •

ثم تأمل مايحدث فى أى مكان يتجمع فيه الناس فى مجتمعنا الفاضل •• سواء فى الملاهى العامة أو دور السينما بل فى الأماكن الوقورة مثل قاعات الدرس فى المدارس والجامعات •• حيث تنطلق الصرخات والصفافير بالاستحسان

عند سماع أى كلمة بذيئة أو دعابة خارجة ·· او اذا ظهرت على شاشة السينما امرأة جميلة ·· أو رجل يقبل زوجته ·

ويعلل لنا قاسم أمين هذا السلوك فيقول :

«ان الرجل الذى لم يتعود الاختلاط بالنساء ، ان لم يغلبه سلطان التهذيب القوى لايملك نفسه اذا جلس بينهن فلاتشبع عينه من النظر اليهن ومن التأمل فى محاسنهن ، وينسى فى ذلك كل أدب ولياقة وربما طلب الوسائل لملامستهن بيده أو مماستهن بكتفه ويندفع الى أقوال وأعمال تشمئز منها نفوس الحاضرين كأنه يظن – بل هو يظن بالفعل – أنه لامعنى لاجتماع الرجل مع المرأة فى مكان واحد الا أن يتمتع كل منهما بشهوته مع الآخر · وذلك بخلاف الرجل الذى اعتاد على مخالطة النساء فانه لايكاد يجد فى نفسه أثرا من رؤيتهن أكثر مما يجده عند رؤية الرجال ، ولايشعر بأدنى اضطراب فى حواسه ولا فى مشاعره فمن ألزم لوازم الحجاب أنه يهيىء الذهن فى الرجال والنساء معا لتخيل الشهوة بمجرد النظر وسماع الصوت» ·

والآن دعنا نتأمل كيف يكون الاختلاط عامل اصلاح لأخلاق الناس ·· ولاشك أن الشاب الذى يتربى منذ نعومة أظفاره فى مدارس مختلطة ·· حيث يجد بجواره أخته وجارته وابنة عمه · وابنة صديق أبيه وصديقة أمه ·· مثل هذا الشاب سوف يكون نوعا أخر من البشر غير هذا الانسان المتوحش الذى لم ير البنات فى حياته · ان وجود البنات بجوار الأولاد فى المدارس ومنذ مراحل الطفولة البريئة يجعل كلا منهما يتعود على وجود الآخر ·· وعلى احترامه وتقديره · فاذا كبر الأطفال وأصبحوا فى مرحلة المراهقة لن تشعر بالخوف من سلوكهم مع حسن التربية والتهذيب ومع التعليم

الدينى المستمر ٠٠ فاذا وصل الشباب الى مرحلة الجامعة اصبح أكثر تعقلا ورزانة ٠٠ ولاشك أن أول النتائج التى ستشمر بها هى اختفاء ظاهرة الهروب من الدراسة والتسكع فى الشوارع لمجرد مشاهدة الفتيات من بعيد ٠٠ وسوف تجد أن جو الدراسة والفصل قد اختفت منه الألفاظ البذيئة والضحكات الماجنة ٠ واذا لم يكن ذلك التادب من باب احترام وجود البنت الى جواره ٠ فعلى الأقل خوفا من أن تصل أخباره الى أبويه عن طريق أخته او قريباته فى المدرسة ٠٠ وبذلك يصبح الاختلاط نوعا من الرقابة الذاتية أقوى من رقابة المدرس ومشرف المدرسة ٠

والآن قد يقول قائل أن الاختلاط موجود اليوم فى معظم الجامعات فى العالم العربى ومع ذلك فلم تتحسن أخلاق الناس كثيرا ٠٠ ونقول ردا على ذلك ان الاختلاط السليم لاياتى طفرة ولا فجأة ٠٠ بل يجب أن يكون تربية منذ الصغر وفى كل مراحل الحياة فلايجوز الفصل بين الجنسين فى جميع مراحل التعليم الأولى وفى البيت والمجتمع ثم نسمح بالاختلاط فى الجامعة فحسب ٠٠ فالحل اذن هو مزيد من الاختلاط وليس تقييده على مرحلة دون أخرى أو مكان دون آخر ٠

خامسا ـ الاختلاط يظهر العبقرية والطموح ويقتل الكسل والخمول :

جلس أحد الأئمة فى مجلس العلم والدين ٠٠ ثم فاجأ تلاميذه بقوله : هل فيكم عاشق ٠٠ فهابوا وقالوا : لا قال : اعشقوا فان العشق يطلق اللسان العيى ٠ ويفتح جبلة البليد والمختل ٠٠ ويبعث على التنظيف وتحسين اللباس وتطييب

المطعم ، ويدعو الى الحركة والذكاء ·· وتشرق الهمة ·· واياكم اياكم والحرام» ·

من المنطق العجيب الذى يحتج به أعداء الاختلاط قولهم أنه سوف يؤدى الى تفشى الحب بين الشباب مما يشغلهم عن الدراسة والعلم ·· وهذا منطق مرفوض لانه يتعارض مع العلم والعقل والواقع ··

فعلم النفس يرى فى الحب باعثـا على الهمم والطموح والتفوق ·

وعلم الاجتماع يراه وسيلة للترابط الاجتماعى وبناء أسرة سعيدة ناجحة ودين الاسـلام الذى لم يترك صـغيرة ولا كبيرة من حياة البشر الا وعالجها قد بين فى قضية الحب الصواب من الخطأ والحلال من الحرام فالحب الحـرام هو من يحب امرأة لاتحل له كأن تكون متزوجة ·· او الذى يخلط بين الحب العفيف والشهوة الجنسية ·· أو الذى ينشد الخلوة بمن يحب ·· أو الذى يشغله الحب عن العبادة وعن الدراسة وعن أى واجب آخـر ·· أما ما عـدا ذلك فالحب حـلال ومطلوب ·· «ومن أحب فعف فكتم فمـات مات شـهيدا» والرسول صلى الله عليه وسـلم يقول «لم ير للمحبين مثـل التزويج» رواه مسلم ·

والخلاصة أن الحب طاقة عاطفية عظيمة ·· لو شحنت بها النفس البشرية مع حسن التوجيه والتربية لدفعت بهـذا الانسان الى عظائم الأمور · والميل الى المثـالية فى سلوكه الاجتماعى وفى طموحه نحو تحسين أحواله ومن الناس من يبعث فيه الحب كوامن العبقرية والنبوع المبكر أو التفوق الرياضى · أو يخلق منه فنانا مبدعا ·

وهكذا لايكره للناس الحب سوى انســان حاقد مريض النفس كاره للانسانية ٠

وبصرف النظر عن الحب فان مجرد وجود المرأة فى أى مجتمع بجوار الرجل يبعث على الرقى بمستوى المجتمع كله ٠٠ أنظر الى بيت كل أبنائه من الذكور ٠٠ تجده عديم النظام كثير الصخب والمشاكل والخشونة والفــوضى ٠٠ فاذا كان للأولاد أخوات بنات عمت البيت لمسة من التنظيم والترتيب ٠٠ والسكينة والهدوء ٠٠ ومعروف أن المرأة أكثر دأبا على العمل وأكثر مواظبة ودقة من الرجل ، فوجــودها معه فى العمل يدفعه حتما الى زيادة الانتاج ولو من باب المنافسة على الدرجة والترقى فى الوظيفة ٠

كان هــذا هو أثر وجــود المرأة على الرجال ٠٠ ولكن الجانب الأهم هو أثر وجود الرجال على المرأة ٠٠ فالمرأة التى لاتخالط الرجال فى حياتها تصاب بالخمول والكسل والترهل ٠٠ فليس هناك دافع فى حياتهــا اليومية كلها يجعلها تهتم بمظهرها وأناقتها ٠ ولا بعقلها وثقافتها ٠ وعندما تجتمع النسوة معا مهما كان تعليمهن لايخــرج الحديث عن الطعام والملبس ومشاكل الأولاد والأزواج ٠٠ أما اذا كن مع الرجال فان دفة الحديث تتغير الى الاهتمام بالقضايا العــامة مثــل المشاكل الوطنية والاقتصادية والسياسية ٠

سادسا ـ الاختلاط يزيد المرأة تدينا واحتشاما وثقافة :

من المظاهر المؤسفة حقا فى مجتمعنا الاسلامى أن الرجل المسلم المحافظ قد يصطحب زوجته معه الى حفل ترفيهى أو عرس أو فرح ٠٠ ولكنه لايصطحبها معه الى ندوة ثقافية أو محاضرة دينية أو الى اجتماع سياسى تبحث فيه قضايا الوطن

.. وليس السبب فى ذلك هو تفاهة المرأة كما قد يدعى البعض أو عدم اهتمامها بالأمور الجادة التى تخاطب العقل .. ولكن السبب الرئيسى لذلك هو عدم وجود الاختلاط فى مجتمعنا الاسلامى مما يجعل حضور المرأة فى أى نشاط ثقافى أمرا غير مألوف وشاذ .. وقد يخرج الرجل أمام أصحابه عندما يصطحب زوجته فى هذه الأماكن المحترمة .. أما حضورها الى أماكن اللهو والترفيه فأمر طبيعى بل ضرورى .

وكثيرون منا اذا كان يسير بسيارته فى الطريق مع زوجته وسمع الأذان للصلاة فانه يوقف السيارة قريبا من باب المسجد وينزل ليصلى بينما يترك زوجته فى السيارة تنتظر وحدها .. واذا كان ذاهبا الى سهرة ثقافية فانه يرسل زوجته الى بيت أهلها لتنتظره مع غيرها من الحريم والأطفال حتى يعود اليها .. فماذا تتوقع أن يكون تأثير ذلك على شخصية المرأة وعلى عقليتها وتفكيرها بل وأيضا على دينها واهتمامها بتدارس أمور الدين .

فبسبب هذه التفرقة أصبح الفارق بين الرجل المسلم وزوجته المسلمة أمرا مهولا .. وكلما تقدما فى العمر ازداد الرجل ثقافة وعلما بالحياة وازدادت المرأة جهلا بامور الدنيا والدين .

وكثيرا ماكنت أجلس فى اوربا مع نساء مسلمات حاصلات على أعلى الشهادات وأخريات أوربيات ذوات تعليم متوسط أو أقل من المتوسط فاكتشف أن الاوروبية أكثر ثقافة وأكثر علما بالحياة . وادراكا لقضايا وطنها ومشاكل شعبها .. وتعاليم دينها .. وأكثر الماما باخبار الدنيا من

المسلمة ٠٠ وكثير من الأزواج المسلمين فى اوروبا يشكون من أن زوجاتهم ليس لديهن أى اهتمام بأى ظاهرة حضارية أو ثقافية ويكرهن زيارة المتاحف العلمية ٠٠ والأماكن الثقافية وكل همهن هو شراء الملابس والعطور وزيارة متاجر الزينة والملاهى الليلية ودور السينما ٠

وربما لاحظ بعضنا تفاوتا كبيرا بين المرأة العاملة فى مجتمع مختلط وزميلتها المحجوبة بالمنزل ٠ فبعض النساء المحجوبات اذا توفى عنها زوجها أو هجرها فانها تصبح عالة على أهلها هى وأولادها لانها قليلة الحيلة قليلة الخبرة بالحياة أما زميلتها العاملة فى مجتمع مختلط ٠٠ فانهـا ، لخبرتها بالحياة ، تستطيع أن تقف على أقدامها وتقتحم معارك العمل الشريف ٠٠ وقد تدير ثروة زوجهـا أفضـل منه لانه كان يدربها ويشركها معه فى كل خطوة من حياته

ومن أخطر نتائج عزلة المرأة عن المسـاجد ٠٠ وعن حضور دروس الدين والمحاضرات الثقافية الاسلامية ٠٠ أن قل اهتمام المرأة المسلمة بدينها وحتى بين النساء المتدينات ٠٠ فانك من النادر أن تجد منهن من تتفقه من نفسها فى الدين أو تحفظ آيات من القرآن ٠٠ أو تبحث فى كتب الفقه والحديث ٠٠ وقد يكون زوجها فقيها عالما بالدين بينما هى لاتعرف من دينها غير الصلوات الخمس ٠٠ وليس هذا خطأ المرأة ولا ذنبها ولكنه ذنب الرجل الذى حرمها من الممارسة العملية والحياة الثقافية ومن هنا نقول ٠٠

ان الاختلاط ينمى شخصية المرأة ٠٠ ويدفعها الى زيادة ثقافتها فى الأمور الجادة ٠٠ ويهيئها لتصبح عضوا فعالا فى نهضة الوطن وحل مشاكله ٠

/

سابعا ـ الاختلاط يزيد طاقات الأمة وانتاجها :

كثير من المفكرين يشبهون المجتمع الاسلامي المعاصر بانسان يعيش برئة واحدة بينما الأخرى معطلة ٠ وهذا يجعله قليل الطاقة قليل العزم والعطاء ٠٠ ومنهم من يشبهه بالانسان الذى نما وكبر فطالت احدى ساقيه بينما الأخرى مصابة بالشلل ٠٠ فأصبح أعرج معوقا عن الحركة ٠

لقد تطورت أساليب الحياة فى عصرنا الحاضر تطورا سريعا ٠٠ وتطور النظام الاجتماعى فى الدنيا كلها ٠٠ فى الماضى كان الرجل يعمل ويكدح خارج البيت ليكسب عيشه وعيش أسرته ٠٠ وتبقى المرأة فى البيت تعد له طعامه ٠٠ وترعى أولاده وتنظف فراشه ٠٠ ولكن الحياة تغيرت بأربعة عوامل رئيسية :

١ ـ فالاختراعات الجديدة والوسائل العلمية الحديثة أصبحت توفر ٩٠٪ من جهد البيت والوقت الذى يضيع فى التنظيف والطبخ ٠

٢ ـ والأسرة الحديثة أصبح معدل أولادها من طفلين الى ثلاثة بعد أن كان من ٦ ـ ٨ أطفال ٠

٣ ـ وفى الدول العصرية أصبحت تهيأ دور الحضانة ورياض الأطفال بصورة كافية وبأسلوب علمى وصحى مدروس بحيث يقضى الطفل سحابة نهاره فى جو أقل مايوصف به أنه أفضل من جو المنزل ٠

٤ ـ أضف الى ذلك كله عنصرا هاما ٠٠ وهو أن تكاليف الحياة العصرية ومتطلباتها قد زادت جدا وتنوعت وأصبحت السيارة والتليفزيون والفيديو والثلاجة والمكيف من ضرورات الحياة العصرية ٠٠ ولذلك

أصبح الشاب العصرى المثقف غير قادر على متطلبات أسرته من كسبه وحده ٠٠ واصبح من المحتم أن تعمل الزوجة على قدر طاقتها لتكون شريكة فى الكسب ٠

هذه العناصر الأربعة مجتمعة ٠٠ قد قلبت موازين الأسرة فى العالم كله ٠٠ وهى من مقتضيات التطور والحياة العصرية التى لابد منها ٠٠

وفى العصور الماضية كان الرجل هو العضو الوحيد المنتج فى الأسرة وتبقى الزوجة والاولاد عالة عليه ٠٠ أما اليوم فان الشاب العصرى المثقف يحرص على الزواج بفتاة متعلمة عاملة مثله أو بزميلته فى العمل حتى يتعاونا معا على أعباء الحياة العصرية ٠٠ وفى كل دول اوربا اليوم يشارك الأولاد أيضا فى العمل والكسب على قدر عمرهم واحتمالهم وفى وقت فراغهم ـ فمنهم من يوزع الجرائد اليومية ٠٠ أو يغسل سيارات الاسرة والجيران أو ينظف الحدائق ويعتنى بالزرع ٠ ومعظم الآباء هناك يدفعون لاولادهم مقابل أى عمل يقومون به فى خدمة البيت مثل غسيل الصحون أو السباكة وغير ذلك ٠٠ وهذا أسلوب مثالى فى التربية لتعويد الاطفال الاعتماد على النفس وشغل وقت الفراغ فى أمر نافع وتشجيعهم على اتقان العمل والاستزادة من العلم والخبرة فى هذا الميدان ٠

كان هذا هو نظام الأسرة المنتجة فى اوربا ٠٠ انه نظام لايزيد انتاج الأسرة فحسب بل يزيد الانتاج العام للدولة الى الضعف ٠٠ ويزيد الرخاء الذى يعم على الجميع ٠

أما فى العالم الاسلامى فماذا يحدث ٠٠ فمن مساوىء مبدأ الفصل بين الجنسين وحبس المرأة فى البيوت ٠٠ ان أصبح (١٠٪ عشرة فى المائة فقط من النساء يعملن سواء

فى أعمال حرة أو حكومية مما يضعف الانتاج العام ٠٠ واذا قارنا أحوال أسرتين فى العالم العربى ٠٠ احداهما مسلمة والأخرى غير مسلمة ٠٠ لوجدنا أن معدل دخل الأسرة المسلمة أقل بكثير من نصف دخل الأسرة الثانية ٠٠ بل ان المسلمين فى البلاد التى يشكلون فيها الأقلية من سكانها يكونون دائما أفقر الأقليات كلها ٠٠ مثال ذلك مسلمي يوغوسلافيا والهند والصين ٠٠ وغيرها ٠٠ كل ذلك بفضل اعتقادهم أن الاسلام يلزم المرأة أن لاتعمل خارج البيت وأن لاتخالط الرجال ٠

والآن قد يقول قائل انه ليس من الضرورى أن نربط بين عمل المرأة وقضية الاختلاط ٠٠ وان هناك أعمالا يمكن أن تؤديها المرأة بعيدا عن الرجال ٠٠ مثل تدريس البنات أو طبيبة النساء والولادة بل اننا يمكن اذا اقتضى الأمر أن ننشىء مصانع نسائية فقط ٠٠ والواقع أن هـــذا كلام غير واقعى ولا عملى ٠٠ فالى جانب أن الوظائف التى تحتاج الى النساء فقط محدوده وقليلة جدا ٠٠ فان الاختلاط مطلوب لذاته ٠٠ وهو كما ذكرنا وسيلة لتحسين جو العمل وخلق المنافسة وزيادة الانتاج ٠

ولكن يبقى هنا سؤال هام لابد وأن يطرحه المعارضون لعمل المرأة خارج البيت ٠٠ فهم يقولون انهـــم لايحبون أن يوكلوا أطفالهم الى تربية الخدم ٠٠ ولا أن يحرم الأطفال من عواطف أمهم ورعايتها الشخصية ٠٠ وهذه بلاشك وجهة نظر سليمة لها مكانها ٠٠ ولكن المجتمعات الحديثة قد وجدت لها الحلول الكافية ٠٠ فالأطفال يحتـــاجون الى ملازمة أمهم فى السنوات الأولى من عمرهم وقبل أن يلتحقوا بالمدارس ٠٠ وفى بعض الدول يسمح للمرأة بأجازة سنتين منذ ميلاد الطفل وهى ماتسمى اجازة الرضاعة وقد تأخذ المرأة خلالها مكافأة

رمزية عن الرضاعة ٠٠ وفى كثير من الدول يسمحون للمرأة بالعمل نصف دوام وبراتب أقل حتى لاتغيب عن بيتها أكثر من ساعات معدودة فى اليوم كله ٠ فاذا كبر الأطفال وأصبحت المدارس تشغل سحابة نهارهم يمكنهـا أن تعـود الى العمل الكامل ٠

العمل يحمى المرأة :

ومما لاشك فيه أن العمل الى جانب كونه مصدر رزق للأسرة فهو مفيد للمرأة فى كل مراحل حياتها ٠٠ فهو يرفع معنوياتها ويجعلها عزيزة النفس واثقه من نفسـها أمـام زوجها وأولادها باعتبارها شريكة فى البذل والعطاء ٠

ومن اهم اهداف عمل المرأة ٠٠ انها اذا فشلت فى حياتها الزوجية فلن تكون عالة على احد ٠٠ بل تستطيع ان تصمد وتبدأ حياتها من جديد فى حين أن المرأةالجاهلة أو غير العاملة ٠٠ سيكون فشلها الزوجى بمثابة نهاية حياتها ٠

وأخيرا فان المرأة العاملة تكتسب من العمل مع الرجال مناعة وقوة شخصية وقدرة على مواجهة مشاكل الحيـاة ٠٠ وهذا بعكس المرأة القعيدة البيت والتى يصبح كل فكرها فى الزينة والملابس وانفاق مال الزوج ٠٠ فعمل المرأة بعكس مايدعى أعداء الاختلاط هو خير مانع من الفتنة والتبرج ٠

الاختلاط والخدمة الاجتماعية

هذه القصة كانت موضع جـدل طـويل فى الصـحافة والاذاعة والتليفزيون فى احدى البلاد العربية : ــ رجل متزوج كانت زوجته عاقرا ٠ فتبنى طفلا يتيما ثم جاءه بعد ذلك الأبناء اناثا وذكورا من زوجته ٠ بعث الى أحد رجـال

الدين يسأله عن حكم الشرع فى ذلك التبنى وقد أصبح الطفل شابا فى السادسة عشر من عمره ..

فماذا كان رد المفتي : قال انه يجب أن يخبره أنه ليس ابنه ثم أضاف بأنه يجب أن يطرده من البيت لان فى وجوده اختلاط بزوجته وبناته وهو أمر محرم شرعا .. وفجع الرجل بهذا الحكم القاسى .. فأرسل الى الصحافة والاذاعة يستفتى أهل العلم فى حل مشكلته التى خلقتها هذه الفتوى .. وكثر الجدل دون حل مرضى .. فالرجل وزوجته رغم تدينهما متمسكان بالغلام .. ويجدان فى طرده من البيت فى هذه السن لا معيل له عملا يتنافى مع القيم الانسانية والأخلاقية ومع الرحمة التى أمرنا الله بها . فهل لديك حل لهذه القضية أيها القارىء .. اذا كنت من الذين يؤمنون بأن الاختلاط حرام .

من المعروف أنه لايمكن أن يكون هناك أى عمل من أعمال الخدمة الاجتماعية دون أن يكون فيه اختلاط بين الرجال والنساء .. ولايمكن أن يكون هناك نشاط اجتماعى دون وجود المرأة الى جانب الرجل ، كل منهما يعمل حسب طبيعته التى خلقه الله بها والتى يختلف فيها عن طبيعة الآخر ولكنه يكمله ويضيف الى عمله .

وبسبب كراهية الاختلاط فى العالم العربى .. فقد أصبح من النادر أن تجد الأسرة المسلمة تقوم باى عمل اجتماعى بناء فى عصرنا الحاضر . أين الجمعيات الخيرية التى تقوم على العمل التطوعى والجماعى ودون انتظار للتحرك الحكومى .. جمعيات رعاية اليتامى وجمعيات رعاية المعوقين .. وجمعيات مكافحة ادمان السكر والمخدرات .. أو جمعيات التوفيق بين الأزواج المتخاصمين أو جمعيات مساعدة الراغبين فى الزواج ومكافحة العنوسة أو الجمعيات التى تحل مشاكل

المراهقين وخلافاتهم الأسرية • وجمعيات معـونة الشـتاء وجمعيات رعاية الأسر المنتجة وتعليم الحرفة للرزق •

كل هذه المجالات تقوم بها فى أوروبا العائلات من باب التطوع والتكافل الاجتماعى والانسانى •• ومما لاشك فيه أن العمل التطوعى والخيرى أفضل ألف مرة من العمل الرسمى الحكومى الذى يعتمد على الوظائف الروتينية •

ومن أخطر الأمور على الاسـلام اليوم هـو ماتقوم به البعثات التبشيرية من حدمات اجتماعية فى بلاد المسلمين •• وتتكون هذه البعثات أساسا من متطـوعين ومتطوعات من العائلات الكريمة المسيحية المتدينة • الذين يدربون تدريبا علميا على الخدمة الاجتماعية •• ويلحقون بهـذه البعثات فى الأماكن النائية والمتخلفة •• حيث يقضون حياتهم فى كفالة الأطفال اليتامى واللقطـاء • وفى رعـاية الفقراء والمعوزين وفى تعليم الجهلة والأميين وخاصة تعليم العاطلين حرفة يرتزقون منها وتغنيهم عن الحاجة والتسول •• بل ان عملهم يتعدى ذلك كله بحيث أنهم بعـد تعهد هؤلاء جميعا بالتربية والتعليم •• يبحثون لهم عن الوظائف المناسبة فى أى مكان على ظهر الأرض •• وقد رأيت بنفسى عندما كانت وزارة الصحة فى أى دولة عربية اسلامية •• وخاصة دول الخليج تطلب ممرضات متدربات •• أو خدمات للمستشفيات فتصل اليها من اتحاد الكنائس عروض منظمة تنظيما دقيقا وقوائم وتسهيلات فى التعامل •• وقد وصل الأمر الى حد أن مبعوثى وزارة الصحة فى دول البترول العربية والخليج بالذات كانوا يعقدون لقاءات اختيار الممرضات فى الهند ودول آسيا فى الكنائس وجميع من يلتقون بهم ويختارونهم من نتائج هذه البعثات التبشيرية ••

فأين نحن المسلمين من هذا النشاط التبشيرى الاجتماعى الهائل ·· واذا كنا نحن نتقاعس فى هذا الميدان ·· ونترك أبناءنا وأطفالنا ومواطنينا يرعاهم غيرنا ·· فهل يحق لنا بعد ذلك أن نتباكى على الذين تتزعزع عقائدهم الاسلامية فى بلاد تدين رسميا بالاسلام ·

المجتمع الانفصالى وأخطاره الاجتماعية والنفسية :

ذكرنا فيما سبق محاسن الاختلاط وفضله فى اصلاح أحوال الأسرة والمجتمع ·· ونذكر هنا بعض مساوىء الحياة الانفصالية التى يعيش فيها الرجال فى عزلة تامة عن النساء بحيث يصبح لكل منهما حياته الخاصة ·· وتفكيره الخاص وأسلوب حياته الخاص فلايكون بين الجنسين لقاء سوى مايكون فى فراش الزوجية ·· فهذا الأسلوب من الحياة له تأثير مدمر على المجتمع والأسرة والفرد وله أخطار نفسية وجنسية وأخلاقية واجتماعية ·· وهذه هى بعض الأضرار :

١ ـ البرود الجنسى عند المرأة المسلمة :

فى كتابى السابق بعنوان «الاسلام والحياة (١) الجنسية» أفردت بابا مستقلا بهذا العنوان ·· وشرحت فيه بافاضة تأثير المجتمع الانفصالى الذى يمنع الاختلاط على نفسية المرأة ومستقبل حياتها الزوجية · فالفتاة منذ طفولتها تتربى على كلمات التحذير والتخويف من الأولاد ·· والاختلاط بهم ويصور لنا الولد وكانه شر جنسى وليس مجرد صديق أو زميل ·· واذا رآها أبوها تلاعب ابن الجيران ضربها وأهانها ·· فاذا بلغت المحيض عزلوها عزلا تاما وصوروا لها الشباب

---

(١) كتاب « الاسلام والحياة الجنسية » نشره دار عالم الكتب ·

وكأنهم ذئاب بشرية تريد الفتك بها وبأعز ماتمتلك وهو عذريتها • والى أن تخرج الفتاة من بيت أبيهاالى بيت الزوجية محرم عليها رؤية الجنس الآخر ومجرد سماع صوته •

ولاشك أن هذا الأسلوب الجاهل فى التربية يصيبالفتاة بالكثير من العقد الجنسية والنفسية ويشوه تفكيرها •• بدرجة تؤثر على حياتها الزوجية • فالفتاة التى تربى على هذا الذعر من الجنس الآخر منذ طفولتها تخاف من مجرد التفكير فى الجنس والحب مما يقتل فيها منذ شبابها كل أثر للأنوثة •

وكثير من هؤلاء الأزواج يشكو من أن زوجته لاتبادله مشاعره وعواطفه ويتصور أنها لاتحبه بل تقابل مشاعره بالفتور وعدم المبالاة •

وكثير منهم يشكو من أن زوجته تتهرب منه •• وتتباعد عنه كلما دعاها لفراش الزوجية •• واذا استجابت له كانت أقرب الى الآلة الصماء التى لاتتبادل معه لذة تلك اللحظة •• وهذا الأمر يجرح كبرياء الرجل ويشعره بأنه غير مرغوب فيه وكثيرا ماينتهى الأمر بالخلافات الجانبية دون أن يكون هناك مبرر أو سبب ظاهر وقد ينتهى الأمر بالطلاق •

٢ ـ اصابة الشباب بالعقد النفسية :

وهذه ملاحظة أخرى نراها كل حين فى الشباب الذى يعيش فى بيئة شديدة الانغلاق والذى يتربى فى أسرته على الكبت والحرمان ومن مشاهدة الجنس الآخر ، وفى بعض المجتمعات العربية لايرى الشاب فى حياته كلها امرأة غير أمه •• ولايسمع صوت امرأة •• فهذا النوع من الكبتيخلق جيلا من الشباب المعقد نفسيا •• فهو شباب عصبى حاد المزاج متطرف فى طباعه وعاداته ••

ـ فاذا كان الشـاب من بيئة دينية يصـبح متطرفا فى الدين ·

ـ واذا كان من بيئة غير دينية وتحكمها التقاليد وحدها فانه يتطرف الى الفساد ·

.فالنوع المتدين يندفع فى تدينه الى جد الهوس الدينى دون أن يتعمق فى الدين نفسه ·· فالدين عنده لحية تطول أو تقصر ·· وملابس ومسبحة وطقوس ·· ومظهر أمـام الناس ·· فنراه فى الطريق يتصنع الجد والوقار الشديد فى كلامه ومشيته ·· ولايعرف وجهه ابتسامة الألفـة والمودة فلايلعب الرياضة ·· ولاينطلق مع الشباب بحرية وعفوية ·· فهو عجوز وان كان شابا ·· وخطر هذا النوع من الشباب أنه يعتقد أنه حامل رسالة وصاحب مبدأ وعقيدة وأنه وحده على الحق وغيره على الباطل ·· فتراه كثير السخط والنقمة على المجتمع ·· كاره للناس ·· ودائما يتدخل فى حياتهم باسم الدين ويتهمهم بالفساد والانحراف والرذيلة ·· وهو لايتغير فى نمط حياته ·· ولايتطور فى أفـكاره ·· واذا حاوره أحد كان عنيفا لاذع اللهجة وقد يتطور الحوار معه الى التشابك بالأيدى ·

أما النوع الثانى غير المتدين : فهو الذى يكون انعدام الاختلاط فى حياته كنوع من التقاليد الموروثة فحسب وهذا أخطر من النوع الأول · لان تطرفه ينقلب الى عربدة وفساد ·· وكثير منهم يصاب بالشذوذ الجنسى واللواطة ·· ويدمن العادة السرية ·· فاذا كبر هذا الشاب انغمس فى الخمـر والمخدرات والزنا وخاصة اذا كان من أسرة ثرية ·· وقليل منهم من تنصلح أحواله حتى بعد الزواج ·

٣ ـ العزوبة والعنوسة :

وهذه أيضا احدى مخلفات المجتمع الانفصالى وآثاره المخربة · وكم من فتاة جميلة متدينة ومن أسرة عريقة ·· ولكنها حبيسة البيت لايراها أحد أو يسمع عنها ·· واذا سمع عنها فانه لايستطيع أن يتعرف بها أو يتحدث اليها حتى يكتشف ميوله نحوها ·· وتمر السنوات ·· وتتأخر الفتاة فى الزواج فى هذا السجن الأبدى حتى تدخل فى مرحلة العنوسة التى لا رجعة منها ·· ونفس الشىء بالنسبة للشباب· فكثير منهم يأبى على نفسه وعلى كرامته أن يتزوج من فتاة لايعرفها ولايحبها · أو لمجرد أن تختارها له الأم أو الخاطبة· ويظل ينتظر أن يبعث اليه الحظ بالشخص المناسب الذى يحبه ويقدره · ولكن فى ظروف قلة الاختلاط يكون هذا الأمر من الخيالات البعيدة التى يمضى العمر ولاتتحقق ··



الباب الخامس

من أقوال مفكرى الاسلام فى الاختلاط

١ ـ الشيخ محمد عبده

٢ ـ قاسم امين

٣ ـ لطفى السيد

٤ ـ هدى شعراوى

٥ ـ العقاد

٦ ـ البهى الخولى

٧ ـ خالد محمد خالد

٨ ـ احمد حسن الباقورى

٩ ـ فتحى عثمان

١٠ـ يوسف القرضاوى

١١ـ الشيخ زكريا البرى

١٢ـ الدكتور محمد عمارة والرد على المودودى

اقوال مفكرى الاسلام فى الاختلاط

هذه طائفة من أقوال كبار المفكرين والمصلحين المسلمين فى الاختلاط خلال القرن العشرين ·· بدأناها بالرواد الأوائل مثل الامام الشيخ محمد عبده ولطفى السيد وقاسم أمين ·· ثم ختمناها بالمفكرين المعاصرين لنا مثل خالد محمد خالد والباقورى والبهى الخولى وسوف نلاحظ هنا اختلافا كبيرا فى لغة العصر ·· وفى التعبيرات المستعملة بسبب بعد الفترة الزمنية وهى قرابة قرن كامل ·· ولكننا جميعا نؤيد فكرة الاختلاط فى مظلة من الآداب الاسلامية التى ذكرناها فى باب الاختلاط فى الفقه والشريعة ·· كما ان هؤلاء المفكرين قد حرصوا على الاستشهاد على كل كلمة وفكرة يأتون بها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة وبما ورد عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ماأوردناه فى باب (تطبيق الاختلاط على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم) ·

وقد حرصت عند ايراد أى نص أن أنقله بالحرف دون تغيير من باب أمانة النقل ·· غير أننى تلافيا للتكرار لم أورد الآيات والأحاديث والأمثلة التى استشهدوا بها والتى وردت فى هذا الكتاب فى فقرات سابقة ·

وقد ذكرنا فى باب (معركة الاختلاط فى العصر الحديث) بعض مالاقاه بعض هؤلاء المفكرين من أذى ومحاربة من أجل

أفكارهم ٠٠ وعلى قمة هؤلاء ثلاثة : هم قاسم أمين ـ خالد محمد خالد ـ الشيخ الباقورى ولعل السبب فى ذلك أن هؤلاء المفكرين الثلاثة بالذات دونا عن غيرهم لم يحاولوا أن يغلفوا أفكارهم فى اطار من الغموض أو بألفاظ غير مناسبة أو مائعة حتى لاتؤخذ عليهم أقوالهم ٠٠ انهم فى الواقع مصلحون يريدون تغيير المجتمع ٠٠ وليسوا مجرد مفكرين يعرضون أفكارهم على حياء ٠٠ فمن شاء قبلها ومن شاء رفضها ٠٠ ومن هنا كان العداء لهم أكبر ٠ والخصومة أشد ٠٠ رغم أن جميع ماقالوه ونادوا به هو نفسه الذى قاله غيرهم من علماء المسلمين ٠

الامام الشيخ (١) محمد عبده : ولد سنة ١٨٤٩ م توفى سنة ١٩٠٥ م .

«لقد صار هؤلاء الافرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا فى اعلاء شأن النساء يفخرون علينا بل يرموننا بالهمجية فى معاملة النساء ويزعم الجاهلون منهم بالاسلام أن ما نحن فيه هو أثر ديننا ٠ ان أحد السائحين من الافرنج زارنى فى الأزهر ٠ وبينما نحن مارين فى المسجد رأى الافرنجى بنتا مارة فيه فبهت وقال : ماهذا ؟ أنثى تدخل الجامع فقلت له وما وجه الغرابة فى ذلك ؟٠ قال : اننا نعتقد أن الاسلام قرر أن النساء لهن أرواح ٠٠ وليس عليهن عبادة ٠٠ فبينت له غلطه وفسرت له بعض الآيات فيهن فانظروا كيف صرنا حجة على ديننا ٠٠ والى جهل هؤلاء الناس بالاسلام حتى مثل هذا الرجل الذى هو رئيس لجمعية كبيرة ، فما بالكم بعامتهم» ٠

---

(١) من كتاب « الاسلام والمرأة فى رأى الامام محمد عبده » الدكتور محمد عمارة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٠

ويرد الامام محمد عبده على الذين كانوا يطالبون فى عصره بقصر تعليم المرأة على أمور الدين وحدها ‥ ويطالب أن تتعلم المرأة كل أنواع العلم الدنيوى شأنها شأن الرجل فيقول :

«ان مايجب أن تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعباداته محدود ولكن مايطلب منها لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا كأحكام المعاملات ‥ (ان كانت فى بيت غنى ونعمة) يختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال ٠ كما يختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال ‥

ثم يتكلم عن تطور احتياج المرأة الى أنواع متعددة من العلم لم تكن معروفة على عهد الرسول فيقول : «بعد أن كان اتخاذ السيوف والرماح والقسى كافيا فى الدفاع عن الحوزة صار هذا الدفاع متوقفا على المدافع والبنادق والبوارج وعلى علوم كثيرة صارت واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالأمس ‥ ألم تر أن تمريض المرضى ومداواة الجرحى كان يسيرا على النساء فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده أما اليوم فقد صار متوقفا على علوم متعددة وتربية خاصة «فأى الأمرين أفضل فى نظر الاسلام» ٠

قاسم أمين فى كتاب تحرير المرأة (ولد سنة ١٨٦٥ توفى ١٩٠٨)

عن التقاليد والدين :

«سيقول قوم ان ما أنشره اليوم بدعة «فأقول نعم أتيت ببدعة ولكنها ليست فى الاسلام بل فى العوائد وطرق المعاملة التى يحمد طلب الكمال فيها» ٠

من الاختلاط والمجتمع الانفصالى :

ليس فينا من لايعرف أن من النساء من لايفارقن بيوتهن لا ليلا ولا نهارا بل يلازمنها ولايرين لهن شريكا فى الوجود الا جارية أو خادمة أو زائرة تجيئها لحظات من الزمن وتنصرف عنها . ولايرين آزواجهن الا عند النوم لانهم يقضون نهارهم فى أشغالهم . ويقضون الجزء العظيم من ليلهم عند جيرانهم أو فى الأماكن العمومية كالمقهى . ليس فينا من لايعرف أن نساء كثيرات فقدن صحتهن فى هذه المعيشة المنحطة وفى هذا السجن المؤبد وأنهن عشن عليلات الجسم والروح ولم يذقن شيئا من لذة هذه الحياة الدنيا .

لذلك كان أغلب نسائنا مصابا بالتشحم وفقر الدم ومتى ولدت المرأة مرة تداعت بنيتها وذبل جسمها وظهرت عجوزا وهى فى ريعان شبابها : كل ذلك منشؤه خوف الرجال من الاخلال بالعفة !! فهل حقا أن الحجاب موجب للعفة وعدمه مجلبة للفساد ..» كلا .. فمما لا نزاع فيه أن نساء القرى المصرية مع اختلاطهن الفطرى بالرجال على مايشبهه الاختلاط فى اوروبا تقريبا .. أقل ميلا للفساد من ساكنات المدن اللائى لم يمنعهن الحجاب من مطاوعة الشهوات والانغماس فى المفاسد .. والسبب فى ذلك أن الأولى تعودت رؤية الرجال وسماع كلامهم . فاذا رأت رجلا أيا كان لم يحرك منظره فيها شيئا من الشهوة .. أما الثانية فمجرد وقوع نظرها على رجل يحدث فى نفسها خاطر اختلاف الصنف من غير شعور ولا تعمد ..

وفى أهمية فرص الاختلاط قبل الزواج يقول :

الذى يهم الانسان البصير من شريك المستقبل هو أن يرى بنفسه خلقا حيا .. يتفكر ويتكلم ويفعل .. خلقا

يجمع من الشمائل والصفات مايلائم ذوقه ويتفق مع رغباته وعواطفه ·· فلايكفى أن يعرف بواسطة أمه أو أخته أوصافها مثل سواد شعرها وبياض خدودها وضيق فمها واعتدال قوامها ورزانة عقلها ·· فكل هذه الصفات متفرقة لايمكن أن ينبعث عنها ميل الى طلبها لتكون عشيرة تطمئن لها نفسه وتتعلق بها وبنسلها آماله» ·

من أقوال لطفى السيد حول (تحرير المرأة) سنة ١٩١٥

ان الظروف التى أجتمعت لهذه الدعوة قد تكاتفت لنصرتها · فالدين الحنيف فى صفها ·· ويقظة الأمة ونهضتها كانا فى عونها · وهذا التمدن الغربى الذى يحملنا فى تياره قد جاء بدوره نصيرا لها فسارت فى طريقها قدما الى الأمام · حتى غدت المرأة المصرية تتشبث بوجودها · وتضن بشخصيتها أن تفنى فى شخصية ابنها أو زوجها المسيطر او أخيها الكفيل ·· شاعرة بأن عليها مسئولية عامة بقدر طاقتها ·· والرجل من ناحيته قد يسهل لها سبل هذه الحياة الجديدة من غير اكراه ولا مضض ·· وهكذا اتفق الرجل والمرأة بهذا العهد على (تحرير المرأة) فلم يبق الا الزمن الكافى للحصول على الثمرات المنتظرة لهذا التحرير» ·

(الجريدة ـ عدد ١٤٨١ ـ ٢٧ يناير سنة ١٩١٢)

هدى شعراوى : من خطابها فى المؤتمر النسائى الدولى سنة ١٩٢٣

«لقد جاء الاسلام فمنح المرأة حقوقا لم تحصل عليها من قبل والتى تقاتل وستقاتل المرأة العربية فى سبيل الحصول

عليها · اليوم وغدا وبعد غــد · وقد احتفظت المراة حتى الساعة بهذه الحقوق التى يعترف بها القانون المدنى · غير أنها لم تفكر فى اســتعمالها بسبب الجهــل الذى شبت فيه ودرجت عليه أربعة قرون كاملة» ·

ثم تعرضت هدى شعراوى لحق المرأة فى التعليم كالرجل فتقول «ان مسألة تعميم التعليم الاجبــارى كانت موضــوع المناقشة والبحث فى عهد السلطان حسين · ولكن أولى الأمر قرروا تأجيل اصدار هذا القانون بصفة نهائية ثلاثين عاما· وقد حرمت الحكومة ابتداء من ســنة ١٩٠٩ المرأة من حــق امتحان شهادة البكالوريا ثم حرمتها من نيل شهادة الدراسة الابتدائية ·

من أقوال العقاد فى كتاب «المرأة فى القرآن» :

بعد أن شرح العقاد آيات الحجاب فى القرآن ·· وأورد آراء فقهاء المسلمين فى مفهوم الحجاب يقول ص ٩٢ ·

ـ «والمفهوم من الحجاب على هذا واضح بغير تفسير ·· فليس المراد به أخفاء المرأة وحبســها فى البيــوت ·· لان الأمر بغض الابصار لايكون مع اخفاء النساء وحبسهن وراء جدران البيوت ·· وتحريم الخروج عليهن لمزاولة الشــئون التى تباح لهن ·· ولم يكن الحجاب كما ورد فى جميع الآيات مانعا فى حياة النبى عليه السلام أن تخرج المرأة مع الرجال الى ميادين القتال ·· ولا أن تشهد الصلاة العامة فى المسجد· ولا أن تزاول التجــارة ومــرافق العيش المحللة للرجــال والنساء» ثم يستطرد قائلا ص ٩٣ ·

«فلا حجاب اذن فى الاسلام بمعنى الحبس والحجر والمهانة ولا عائق فيه لحرية المرأة حيث تجب الحرية وتقضى المصلحة وانما هو حجاب مانع الغواية والتبرج والفضول وحافظ الحرمات وآداب العفة» ٠

الأمر بالقرار في البيوت :

«ومن الحسن أن نذكر أن الأمر بالقرار فى البيوت انما خوطب به نساء النبى صلى الله عليه وسلم ٠ لمناسبة خاصة بهن لاتعرض لغيرهن من نساء المسلمين ولهذا برئت الأمة بقوله تعالى «يانساء النبى لستن كأحد من النساء» ثم اقترن هذا الأمر بأمر آخر يعم الرجال الذين يفدون على النبى فيدخلون مسكنه بغير استئذان وفيه زوجاته رضوان الله عليهن ٠

ومن أقواله عن عمل المرأة ووظيفتها :

«أما الأعمال المباحة للمرأة فهى الأعمال المباحة للرجل بغير تميز» ثم يقول : وقد تمضى السنون بل تمضى القرون قبل أن يستقر المجتمع الانسانى على الوجه الأمثل فى حقوق المرأة خاصة ٠ وفى حقوق أبنائه وبناته من النساء والرجال على التعميم ٠٠ وقد تلجأ المرأة غدا كما تلجأ اليوم الى كسب الرزق ودفع الحاجة ٠٠ والاعتصام بالعمل من الضنك والتبذل ٠ فاذا سيقت المرأة الى هذه المآزق ٠ فليس فى أحكام الاسلام حائل بينهما وبين أى عمل تزاوله المرأة الغريبة ٠

«وفى وسع المرأة المسلمة التى تحرم (١) قوامة البيت أن تزاول من العمل الشريف كل ماتزاوله المرأة فى أمم

(١) كتاب المرأة فى القرآن : دار الكتاب العربى بيروت طبعة ٣ ص ٩٢ ــ ٩٣ ٠

الحضارة فلها نصيبها مما اكتسبت ولهـا مثـل الذى عليها بالمعروف ٠ وذلك حقها الذى تملكه» ٠

البهى الخولى كتاب «الاسلام وقضايا المرأة المعاصرة» ٠ فى الاختلاط :

«واختلاط الرجـال بالنساء أحـد الموضـوعات التى نتناقش فى قضية المرأة ٠ ولكن اذا تحققت المرأة بمعانى العفة ومظاهرها التى ذكرنا ٠ واذا علمنا الى جانب ذلك أن الاختلاط ليس له معنى الا الرؤية والمقابلة والمحـادثة فى ضروريات الأمور ٠٠ الفينا قضية الاختلاط مفـروغا من أمرها ٠

الاختلاط فى البيت :

فالمرأة لاتأذن فى بيت زوجها وهـو شـاهد الا باذنه ولاتستقبل فيه أحدا من الرجال الا من تدعو الحاجة لاستقبالهم فى غير خلوة ٠ على أن يكون ذلك بعلمه أو باذنه أو يكون ممن تجرى عادة البيئة بدخوله كما يحصل عندنا فى بيوت أهل الريف ٠

الاختلاط خارج البيت :

«ولها أن تخرج للصلاة فى المسجد (وآداؤها فى البيت أفضـل) ولهـا أن تذهب لضرورات العـلاج ٠ وقاعات العلم والمحاضرات للتزود بما يثقف عقلها ويهذب نفسـها ويفقهها فى دينها ٠ ويعرفها بواجبات الحياة ٠ على أن لاتكون تلك القاعات عرضة لمجون العابثين ومرضى القلوب ٠٠ ولها أن تخرج الى الحقل أو السوق أو الى أى مكان لا اثم فيه لشراء مايحتاج اليه بيتها وقضاء مصالحها ٠ وقد كان نساء الصحابة

فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده يفعلن ذلك .

الاختلاط فى المسارح ودور السينما

«ولها أن تخرج الى المسارح ودور السينما .. فان تلك الدور ليست محرمة لذاتها .. بل لما يلم بها من أفعال السوقة» فاذا وجدت دور تعرف كيف تختار روادها من البيئات الكريمة وتحترم رسالتها فلاتعرض الا التسلية البريئة والمناظر المفيدة والموضوعات النافعة عقلا وخلقا فلابأس من ارتيادها فالثقافة أمر مرغوب فيه . واللهو البرىء جاء به الشرع الشريف .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لتنظر عائشة الى الحبشة وهم يلعبون ويرقصون بحرابهم .

المتنزهات :

«وما نعلم أحدا حرم على المرأة أن تخرج الى أماكن النزهة ذات الهواء الطلق والمناظر الحسنة» .. و «المرأة الريفية فى أيامنا هذه تخرج من بيتها الى الحقل ولا اثم فى خروجها ولسنا نرى فرقا بين الريفية أو الحضرية الا ما قد تتعرض له الحضرية من اذى لا أدب له» .

الاختلاط فى المراكب العامة :

فلابأس من ركوبهاعلى ازدحامها مسايرة لحكم الضرورة. ولان أكثر الركاب لايبغون من الزحام أن يصيبوا من امرأة غرضا خبيثا وقديما نزل العلماء على حكم الضرورة وسكتوا على الازدحام الذى يجمع الرجال والنساء فى مناسك الحج . وفى الطواف حول الكعبة فانه ازدحام لايتطلع فيه الرجل ولا المرأة الى اصابة غرض من الأغراض الفاسدة .

ولا حرج عليها أن تقــابل فى البيت ذا محــرم لها أو أجنبيا لقضاء مصلحة علمية أو اقتصــادية أو اجتماعية او أدبية فانه لم يرد مايمنع ذلك وكذلك لا حرج عليها أن تخرج من البيت لزيارة مشروعة او لقضاء حاجة دينية أو معاشية أو علمية او تدبير غير ذلك من مصالح المجتمع الأساسية وقد أوردنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزوجته سودة انه «قد اذن لكن أن تخرجن لحاجتكن» ٠

ولا حــرج أن تقابل لشىء من ذلك ونحوه من تقتضيه المصلحة من الرجــال مادام ذلك يتم فى نطــاق الآداب التى أوردناها» ٠

من أقوال الأستاذ خالد محمد خالد : كتاب من (هنا نبدأ) صدر سنة ١٩٥٠ م لهذا الكتاب قصة وقضية يعرفها جيلنا الحاضر من الرجال ٠ لقد برز اسم مؤلفه الأستاذ خالد محمد خالد فجأة فى سنة ١٩٥٠ ككاتب ثورى أزهــرى يدعو الى تحطيم التقاليد الموروثة ٠٠ والى الاصلاح الدينى ٠ وكان الخبر الذى ظهر فى الصحافة هو نبأ محاكمته فى تبرئته عن كتابه «من هنا نبدأ» ٠

وقد وجهت أمانة لجنــة الفتوى بالأزهــر الشريف الى المؤلف تهما خطيرة منها أنه (قام بتحريف (١) وتجديد فى الدين الاسلامى فى كتابه وبانه يعمل على هــدم كيان الدين وسلبه أخص وظائفه) وطالبت من النيابة مصادرة الكتاب وقد حوكم الكتاب فى السر على جلسات متوالية وتدارســه

---

(١) عن كتاب شخصيات اسلامية معاصرة ، ابراهيم البعثى ص ١٣٦ مطبعة الشعب

القضاء بعناية فائقة ثم جاء قرار القضاء بتبرئته من تهمة الاساءة الى الدين ‥ وليس هذا فحسب بل توج قرار المحكمة بعبارات مدح وتأييد جعلت الكتاب يرقى الى صف الأعمال الفكرية والاصلاحية الكبرى فى القرن العشرين ‥ واعتبرته خير دفاع عن جوهر الاسلام ٠ وبذلك اشتهر الكتاب بفضل معارضيه وأعيد طبعه عشرات المرات ‥ ولمزيد من الاطلاع على نص قرار الاتهام الصادر من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف وقرار المحكمة نحيل القارىء الى كتاب «شخصيات اسلامية معاصرة» للأستاذ ابراهيم البهى ‥ ثم نعود هنا الى موضوعنا ٠

والذى يهمنا من هذا الكتاب فى قضية الاختلاط هو فصل هام عن المرأة بعنوان «هذه الرئة المعطلة» وان كانت جميع فقرات الكتاب تطالب بتخليص الدين الاسلامى مما أدخل عليه من تقاليد موروثة ومفاهيم خاطئة والعودة به الى منبعه الأصيل وهو نفس ماندعو اليه فى كتابنا هذا ‥ جاء فى هذا الكتاب قوله :

«ان رجال الطابور الرجعى (١) يلوحون فى وجه الحقوق النسائية بالدين تارة وبالتقاليد تارة أخرى ٠ أو بهما معا ‥ هذا عدا مايسمونه بالخروج عن الوظيفة الأصلية التى خلقت المرأة لها وهى المنزل ٠

وانه لن سوء الحظ أن نرانا مضطرين لانفاق الوقت فى محاجة هذه الأوهام وتفنيدها ـ ولكننا نخطىء كثيرا اذا استرسلنا معها فى الجدل والنقاش» ٠

«أما موقف الدين من حقوق المرأة فانه يتعب المعارضين

---

(١) كتاب من هنا نبدأ للاستاذ خالد محمد خالد ، مطبعة السعادة ٠

ويخذلهم ورغم أن الاسلام بمبادئه وتطبيقاته يقف بجانبنا ويبارك وجهة نظرنا فى هذه القضية الا أننا نستحى أن نقحمه فى مسألة نفض يده منها بعد أن بارك كل تطور رزين يطرأ عليها · لذلك يكفى بأن ننشر على آسماعهم هذه الأسئلة ثم يستشهد الأستاذ خالد ببعض الأحداث التى وردت فى كتب الحديث والسيرة النبوية والتى أوردناها منفصلة ·· فى باب (الاختلاط على عهد الرسول والخلفاء الراشدين) ·

ويناقش الأستاذ خالد هذا الموقف العدائى التقليدى الذى يقفه الرجعيون من حقوق المرأة وحريتها فيقول :

«ويحتجون بالتقاليد والفضيلة · فما هذه التقاليد ·· وهذه الفضيلة ؟ وهل صحيح أن الغيرة على الفضيلة والتقاليد هى التى تحفزنا الى مقاومة التطور والكيد للمرأة ·· ان يكن كذلك فما أحوجنا اذن الى تحديد معنى الفضيلة والرذيلة ·· ومعرفة مدى مايجب على الأمم أن تقدمه للتقاليد من طاعة وولاء ·· ان الفضائل الاجتماعية والقيم العليا التى تنتظم حولها حياة المجتمع وتناط بها وجهته ، ليست التى يرتضيها فرد أو جماعة من الناس وتلائم تفكيرهم واحساسهم ·· بل هى التى تنسجم مع القاعدة وتسمو عن الشذوذ ·· والقاعدة هنا هى التطور والشذوذ هو الرجعية والانتكاس ·· فكل زحف الى الوراء مهما يتسم بحسن النية وسذاجة القصد ليس سوى رذيلة فى ثوب تنكرى خداع · وليس هناك اثم أشد ولا خطيئة أفحش من مقاومة التطور واخضاع مستقبل الامم لجهلها القديم» ·

ويرد بعنف على من يتصورون أن خروج المرأة من بيتها سوف يجرح عفتها فيقول «اذكروا ياأعضاء الطابور الرجعى أن ممارسة المرأة لحقوقها لن تزيدها الا سموا وشعورا

بالكرامة . وان العفة التى تغـارون عليها لايجـرحها الا الحرمان والتكبيل واشعار صاحبتها أنها مجرد شىء يلعب به ويستمتع به وليس لها بعـد ذلك ما لسـيدها الرجـل من امتيازات وحقوق . وهذه العفة لاتصونها ولاتعصمها جدران كهف أو بيت بل جدران النفس الباطنة والمناعة الذاتية الحرة التى تنشئها الثقافة واحترام الذات وممارسة الحقوق» .

الأستاذ الشيخ أحمد حسن البـاقورى مدير الجـامعة الأزهرية ووزير الأوقاف سابقا .

هذا مقال هام للعالم الكبير الأستاذ الباقورى فى مجلة لعربى عدد مايو سـنة ١٩٧٢ تحت عنـوان «النبى قدوة المؤمنين» يؤيد فيه الدعوة الى الاختلاط بالاسلوب الذى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطبقه فى حياته .. فبعد أن يستشهد الباقورى ببعض ماجاء فى كتب الحـديث الشريف والسـيرة النبوية من أمثلة (وهى بعض ما أوردناه فى باب الاختلاط على عهد الرسـول صـلى الله عليه وسـلم) يقول الباقورى وهذه الأمثلة «تسوغ للمسلم أن يصحب زوجته الى المآدب يقيمها جار أو صديق كما يسوغ له أن يدع زوجته تستقبل ضيوفه وأن تشرف بنفسها على تكريمهم وهذه الأمثلة يتقرر بها أن هذه الصورة ليست مما يأباه الاسلام . وان الآخذين بها من أبناء الأمة الاسـلامية فى عصرنا الحـاضر لايأخذون بجديد وافد عليهم ولكنهم يأخذون بسنة عريقة سنها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كانوا أغفلوها فلم يأخذوا بها ولم ينزلوا على حكمها .

ومن أجل ذلك كان غريبا كل الغرابة أن يسـتقر فى المجتمع الاسلامى ماعرف بالحجاب الثقيل الذى فرض على

المرأة فحيل بينها وبين مجالس الرجال ٠٠ مع أن النساء فى هذه المجالس حواجز عن الكلمات النابية ودوافع الى أن يؤثر الرجال اللائق من السلوك ويتخيروا المحتشم من الكلام فاذا المجتمع بهن على ذلك أقرب الى الصورة التى حرمتها محتاجة أبين حاجة اليها مجالس المسلمين ٠

ان الرجل بحكم الفطرة التى فطر الله النـاس عليها شديد الحرص على الظفر بتكريم المرأة له واحترامها اياه ٠ فهو لذلك يبذل من ذات يده ٠ بل من ذات نفسه مايقربه اليها ويظفره بتقديرها له واعجابها به» ٠٠ ثم يتطرق الباقورى الى أن معارضى الاختلاط لاينطلقون من دافع دينى بل بدافع الحرص على التقاليد الموروثة وان كانوا يحتمون بالدين أو يخلطون بين الدين والتقاليد فيقول :

«ان الضيق بالمرأة وفرض الحجاب عليها حجابا كثيفا يحول بينها وبين مجالس الرجـال هـو تصرف ليس له من الاسلام سـند ٠ وليس له فى المجتمع ثمـرة ٠ بل انه على العكس من ذلك ذو نتائج سيئة بالغة السوء ٠ وخير من حجاب المرأة والنظر اليها على أنها وسيلة شر ان نلفتها الى مايوفر للمجتمع الانتفاع بها وما أكثر الوجوه التى ينتفع الناس بالمرأة فيها اذا أحسن توجيهها واستنقذت من براثن الجهالات والضلالات ٠

وتحت عنوان «لو كان التعصب لحجاب المرأة الدين لكان الخطب سهلا يقول «على ان الذين يتعصبون لحجاب المـرأة ويحرصون على الدعوة اليه ويسوغونه للقائمين به لو كان دافعهم الى ذلك هو الدين لكان الخطب سهلا ٠ وقبوله أمرا ميسورا ٠٠ ولكنهم فى ذلك كله لايصدرون عن الدين بدليل أنهم يقسمون النساء قسمين : قسم يعمل فى القرى والبوادى

بغير حجاب ولايتعرض للحديث عنهن أحد . وقسم فى المدينة يعمل أو لايعمل وهن محجوبات مستورات فالحديث عن الحجاب دائما يجرى حول هذا القسم الثانى ، فالامر اذن ليس أمـر دين والا كان الحكم منسحبا على المرأة حيث كانت .

ماأحوجنا الى العدل فى قضائنا والنصفة فى أحكامنا والنظر الى حياتنا بالعين التى ترى الحق فتقصد اليه نفيا عن الأهواء بعيدا عن الاثارات والشهوات .

كان هذا هو رأى الأستاذ الباقورى فى الاختلاط ورغم أن هـذا الرأى لا جـديد فيه فى هـذه القضـية .. وان ما استشهد به الأستاذ الباقورى من احاديث وما خرج به من نتائج فى تأييد الاختـلاط هـو نفس ماقاله السـابقون واللاحقون من مفكرى الاسـلام والذين أوردنا هنـا بعض أقوالهم .. برغم ذلك فلا أدرى لماذا قوبل هذا المقال بالذات بمثل هذا العنف من الجماعات الرجعية ـ الى حد أنهم قاموا بطبع الكتيبات والمنشورات ضد شخص الباقورى وأخـذوا يوزعونها على أبواب المساجد .. وفيها الكثير من السـباب الفاحش .. وقد أطلعت على الكثير منهاوأوردت بعض ألفاظها (تحت باب أدب الحوار الاسلامى) ولكنى لم أر فيها حجة مقنعة أو علما ينتفع به أو منطقا هادفا يستحق الرد والمحاورة . وفى ظنى أنها (والله أعلم) مسألة شـخصية أثارها أحـد الحاقدين على الرجل تحت ستار الدين واستغل الجهلة والغوغاء فى ترويجها على أبواب المساجد .

الاستاذ فتحى عثمان : كتاب الفكر الاسلامى والتطور سنة ١٩٦٩

فى الاختلاط :

«ان المجتمع الذى يلتقى فيه الرجال والنساء فى ظروف طبيعية هادئة محكمة مجتمع لن يغدو فيه مثل هـذا اللقاء قارعة تثير الأعصاب وتطلق الوقود على البارود ·· سيألف الرجل رؤية المرأة ومحادثة المرأة فى أطار من الدين والخلق تقيم معاملة تربية الأسرة وعرف الجماعة ورعاية الدولة ·· وستألف المرأة بدورها الرجل ·

وهكذا يهدأ السعار الجنسى المضطرم ويضيق مجـال الانحراف والشذوذ وتتجمع لدى الجنسين خبرات وحصانات وتجاوب يعين على احسان الاختيار عند الزواج · واحسان المعاشرة بعد الزواج ·· فالاختلاط النظيف ليس مصرفا عن الزواج والأسرة ، انه عون على المسارعة الى تكوين البيوت على أساس سليم من الاختيار يكفل التوافق الزوجى والهناء الأسرى ·

ومن الواضح أن الاختلاط المأمون هو الذى يكون لأسباب طبيعية · وتتحقق خلاله مصالح اجتماعية أو اقتصادية · وقد كفل الاسلام للمرأة حقوقها فى طلب هـذه المصالح فى ظل الآداب والأخلاق · وليس هـو الاختـلاط العـابث الماجن المستهتر الذى من شأنه مضـيعة الوقت والعبث بالفضـيلة والانطلاق العارم بغير حدود وقيود» ·

الأستاذ يوسف القرضاوى : كتاب : الحلال والحرام فى الاسلام

بعد أن يستعرض الأستاذ القرضاوى الأحاديث النبوية التى تؤيد الاختلاط وكيف كان يتم على عهد الرسـول ·· وبعد أن يستعرض جميع قواعد الاسـلام وآدابه فى هـذا الميدان يقول :

«ومن هنا نعلم أن الاسلام لم يفرض على المرأة (كما يقال) أن تظل حبيسة البيت لاتخرج منه الا الى القبر • بل أباح لها الخروج للصلاة وطلب العلم وقضاء الحاجات وكل غرض دينى أو دنيوى مشروع كما كان يفعل ذلك نساء الصحابة ومن بعدهم من خير القرون • وكان منهم من يخرج للمشاركة فى القتال والغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخلفاء والقواد» •

وتحت عنوان «خدمة المرأة ضيوف زوجها» يقول :

«وأوضح من ذلك أن تقوم بخدمة ضيوف زوجها فى حضرته مادامت متأدبة بأدب الاسلام فى ملبسها وزينتها وكلامها ومشيها • ومن الطبيعى أن يروها وتراهم فى هذه الحال • ولا جناح فى ذلك اذا كانت الفتنة مأمونة من جانبها وجانبهم» •

الشيخ زكريا البرى : وزير الأوقاف سابقا •• وأستاذ الفقه الاسلامى وأصوله :

هذا بحث ألقاه الكاتب فى أسبوع الفقه الاسلامى الذى انعقد فى القاهرة سنة ١٩٦٧ باشراف المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية •• وقد اشترك فى مناقشته فقهاء بارزون من شتى أنحاء العالم الاسلامى من غير أن يخالف أحد منهم مخالفة جوهرية • وقد نشر هذا البحث فى مجلة العربى عدد ١٤٢ ـ ١٤٤ ـ ١٤٦ وننقل منه هذه الفقرات التالية :

الشريعة الاسلامية وخروج المرأة من بيتها :

ان الشريعة الاسلامية لم تحرم على المرأة الخروج من

بيتها ، فى أدب واحتشام ، لشئون دينها ودنياها ، بل أباحت لها الخروج لعباداتها من صلاة وحج ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول «لاتمنعوا اماء الله مساجد الله» ويأمر باخراج ذوات الخدور يوم العيد ليشهدن الخير ودعوة المسلمين ، كما أباحت لها الخروج لشئونها وشئون أسرتها وأعمال المجتمع التى تصلح أو نتمين لها ٠

وهذه أسماء بنت أبى بكر ، وزوج الزبير ، تقول : كنت أنقل النوى على راسى من أرض الزبير ، فجئت يوما والنوى على راسى ، فلقينى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه نفر من أصحابه فدعا لى ٠

وقد اشترك بعض الصحابيات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغزوات : كأم عمارة ، فى غزوة أحد ، وأم سليم فى غزوة حنين ، وأمية بنت قيس فى غزوة خيبر ٠

ان التقاء الرجل بالمرأة فى ميادين الحياة والعمل التقاء عادى غير متكلف ، فى حدود الآداب والاعراف الطاهرة ـ لايحرمه الاسلام وانما المحرم هو الانفراد والخلوة وما يتصل بها ، وما تجر اليه من ريبة وفساد ، وبخاصة تحت ستار العمل ٠

يقول الماوردى فى الأحكام السلطانية ، وهو يتحدث عن أعمال المحتسب الذى يراقب الآداب : «واذا رأى وقفة رجل مع امرأة فى طريق سابل لم تظهر منهما امارات الريب لم يتعرض لهما بزجر ولا انكار ، فما يجد الناس بدا من هذا٠ وان كانت الوقفة فى طريق خال ، فخلو المكان ريبة فينكرها، ولايعجل بالتأديب عليهما ، حذرا من أن تكون ذات رحم ، وليقل : ان كانت ذات رحم فصنها عن مواقف الريب ، وان

كانت أجنبية فخف الله تعالى من خلوة تؤديك الى معصيته ، وليكن زجره بحسب الامارات» •

ان المرأة تشارك الرجل فى الحياة الاجتماعية وأن كلا منهما يكمل الآخر فى المجتمع كما يكمله فى الأسرة ، وان العلاقة بينهما هى التعاون والتكامل لا التكرار والمماثلة •

وان الأمر فى بعض البلاد الاسلامية قد انتهى الى الافراط فى التضييق على المرأة وامتهان شخصيتها ، بقدر ما انتهت البلاد الأخرى الى التفريط فى هـذا المجال وكلا الأمـرين ذميم •

وبخطوة من أولئك الى الامام ، وبخطوة من هؤلاء الى الوراء ، يلتقيان عند حكم الله ، وأدب الاسلام ، فطرة الله التى فطر الناس عليها «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» •

الرأى المعارض والرد عليه

الدكتور محمد عمارة يرد على المودودى :

الكاتب الاسلامى الهندى الأصل أبو الأعلى المودودى من الكتاب المكثرين جدا الذين عرفوا بغزارة الانتاج •• ولكنه للأسف الشديد يمثل التيار الرجعى الجامد فى بعض افكاره وخاصة ما يتعلق بالمرأة • فرغم اننا اليوم فى أواخر القرن العشرين الذى وصـلت المرأة الاوروبيـة فيـه الى ريـادة الفضاء •• واثبتت العديدات من النساء مقـدرة فائقة فى قيادة أعظم دول العالم مثل مارجريت تاتشر فى بريطـانيا وأنديرا غاندى فى الهند وكورازون أكينو فى الفليبين •

ومن النساء المسلمات الفضليات من قامت بأعظم الأعمال في خدمة أوطانهن في ميادين الطب والهندسة والعلم والدين والأدب ·

في هذا الوقت تطل علينا دعوة المودودى للعودة الى الوراء فيدعو المرأة المسلمة الى غطاء الوجه والكفين ·· ويدعوها الى ملازمة البيت مع الصبية والخدم والى قصر تعليمها على الشئون المنزلية ·· وأخيرا عدم رؤيتها الناس والمجتمع وعدم مخالطتهم ·

والواقع أن خطر المودودى لايكمن في هذه الكتابات الغزيرة ولكن الى تبنى الكثيرين من العوام لأفكاره ودعوتهم لها ·· حتى أصبحت كتبه عن المرأة · تطبع وتوزع بالمجان على أبواب المساجد على أنها تمثل الفكر الاسلامى الصحيح وليست مجرد دعوة الى العادات والتقاليد القديمة ·

وقد كنت أنوى أن أفرد بابا من هذا الكتاب للرد على المودودى باعتباره يمثل التيار المعارض للاختلاط وحرية المرأة بكل صورها :

ولكن كفانى عن ذلك عالمان كبيران مسلمان هما : محمد ناصر الدين الالبانى فى كتابه «حجاب المرأة المسلمة» الذى يرد فيه على مبالغات المودودى في القيود على المرأة وملابسها واعتباره أن غطاء الوجه فريضة أما العالم الآخر فهو المفكر الاسلامى الدكتور محمد عمارة · فى نقده لدعوة المودودى وكل من يرددون هذه الأفكار الرجعية بدون وعى ولا دراسة ·· يقول الدكتور عمارة فى بحثه بعنوان «المرأة فى الاسلام» والذى نشر فى مجلة العربى عدد مايو سنة ١٩٨٦ :

ـ « لقد كان الاستاذ المودودى على حق فى تصديه لقيم

العرى والتحلل والخروج عن الآداب الاسلامية والحشمة الشرقية التي غزتنا بها الحضارة الغربية ودفع التقليد بفئات من نسائنا الى طريقها البائس ومستنقعها الراكد» :

«لكن نقطة الخلاف مع الأستاذ المودودى التي نراها قد جعلت الكثير من كتاباته عن المرأة استمرارا للتخلف الذى ورثته أمتنا عن الحقبة (المملوكية ـ العثمانية) والذى نسب زورا وبهتانا الى الاسلام نقطة الخلاف هذه تتمثل فى مبالغة المودودى فيما بين المرأة والرجل من تمايز فى الطبيعة والاستعداد والكفاية والاختصاص بحيث يطالب بالفصل الكامل بينهما فى ميدان عمل كل منهما» .

والأستاذ المودودى يطرق هذه الفكرة فى العديد من الكتب والرسائل والمقالات والخطب التي كرسها للحديث عن مكانة المرأة فى المجتمع الاسلامى .. ويؤكد على أن القاعدة الرئيسية فى نظام الاجتماع الاسلامى ، هى أن دائرة عمل المرأة هى البيت .. وخروجها من البيت لايحمد فى حال من الأحوال .. فخير لها ، فى الاسلام ، أن تلازم بيتها فلا تغادره الا للضرورة .. كما جاء فى حديث :

«قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن» فليس الاذن بخروجهن من البيت الا رخصة وتيسيرا ، فيجب ألا يحمل على غير مقاصده ومعانيه .

وأمام هذا الطرح لهذه القضية ، يحسن بنا أن نسأل :

★ اذا كان الاسلام قد أباح للمرأة الخروج من البيت للضرورة .. ففيم الفرق بين خروجها منه وخروج الرجل منه ؟ وهل يخرج الرجل من بيته صعلكة ، وبلا سبب ، وعلى غير هدى ؟ أو أن الضرورات ـ على تفاوتها ـ هى التى تحكم تصرفات كل العقلاء رجالا كانوا أو اناثا ؟! .

★★ وهل تقف الضرورات عند حد ؟ أو تنمو مع الزمان والمكان والمشكلات ؟ لقد دعت الضرورة خروج المرأة المسلمة الى ميادين القتال ــ طبيبات ومساعدات ومقاتلات ــ فى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحدث الأستاذ المودودى عن ذلك ــ فهل تمنع اليوم جهادها للاستعمار وقد غدا جهاده فرض عين على المرأة والرجل باحتلاله الأجزاء من دار الاسلام ؟

ولقد بايعت النساء النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى صدر الاسلام فكانت بيعته لهن ، وفق حديثه اليهن ، الذى ترويه الصحابية أميمة بنت رقيقة ، اذ تقول : «جئت النبى صلى الله عليه وسلم ، فى نسوة نبايعه فقال لنا : فيما استطعتن وأطقتن» ·

فهل نعتبر أن معيار الشئون التى تخرج المرأة لها من البيت هى كل ماتستطيع وتطيق ؟ أو نضيق هذه الدائرة فى القرن الخامس عشر الهجرى عنها فى القرن الهجرى الأول ؟

ولقد شاركت المرأة فى عصر البعثة ، مع الرجال فى بيعة العقبة ــ التى هى عقد تأسيس الدولة الاسلامية الاولى ــ وهذا عمل سياسى من الدرجة الأولى ·· فهل نبيح لها اليوم الخروج من المنزل لمشاركة الرجل فى سياسة مجتمعنا ؟ أو نمنعها الآن ماتمتعت به فى صدر الاسلام ؟·

واذا كان الاسلام قد أعطى المرأة إستقلالا فى «الذمة المالية» قبل كل الحضارات الانسانية الاخرى ، فهل نبيح لها اليوم الخروج من المنزل زارعة وتاجرة تنافس الرجال ــ حفظا لثروتها وتنمية لها ــ فى هذا الميدان ؟

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعانا الى أن نأخذ نصف الدين ــ والسنة بخاصة ــ عن زوجته أم المؤمنين

عائشة رضى الله عنها ·· فكانت تنهض ب «الافتاء» فيالدين ·· فهل نبيحللمرأة حق الافتاء في الدين دون أن تفتي في الدنيا ·· أو ان سياسة الدولة أرفع من سياسة الدين وفقهه ؟

واذا كان مذهب الامام محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ ـ ٨٢٩ ـ ٩٢٣ م) قد أجاز أن تكون المرأة قاضية في كل أنواع الخصومات والمنازعات قياسا على جواز افتائها في الدين ·· فهل نبيح لها الخروج لمزاولة مهام القضاء ؟·

واذا كان الاسلام قد عرف المرأة ـ منذ سنوات ظهوره الأولى ـ مشاركة في هذه الميادين : السياسة ـ والقتال ـ والطب ـ والفتوى ـ والتجارة ، والزراعة والحرف الصناعية ·· وذلك فضلا عن رسالتها الاولى والعظمى وهى ادارة البيت وصناعة الأجيال الجديدة واحاطة الزوج بحنان المودة ، والسكن الذى اليه يسكن ويستريح ـ فهل نبيح لها الخروج اليوممن بيتها لتسهم مع الرجلفى الميادين ، وفى ما «تستطيع وتطيق» وعلى النحو الذى لايلغى أنوثتها ولا يطمس طبيعتها، فتختل حكمة التزاوج بين «الشقين المتكاملين والمتساويين» الرجل والمرأة ·· أنبيح لها ذلك ؟ أم نستحضر قيود عصر الحريم فى الحقبة «المملوكية ـ العثمانية» وهو عصر التراجع والجمود ـ لنضعها فى أعناق المرأة باسم الاسلام والاسلام منها براء ؟

ثم ، اذا كان الاسلام قد عرف المرأة المسلمة مشاركة فى هذه الميادين العامة ·· فهل نهيىء لها أن تعلم وتتعلم علوم هذه الميادين وفنونها «وفق الطاقة والاستطاعة» سياسة ·· وقانونا ·· وفنون قتال · واقتصاد وتجارة وزراعة ·· وصناعة ·· الخ ·· أنهيىء لها ذلك ، ونبيحه ونترك

لها حرية الاختيار ؟ أنصنع ذلك فنسلحها لدخول الميادين التى أباح الاسلام لها النزول الى ساحتها ٠٠؟ أم نقف بها ، فقط، كما قال الأستاذ المودودى عند «تعلم» مايتعلق بشئون البيت والأولاد ؟

الباب السادس

الاختلاط فى المجتمع العربى المعاصر وكيف نوجهــه فى المســار الصحيح

صور الاختلاط فى المجتمع العربى المعاصر

الاختلاط موجود فعلا فى مجتمعنا العربى والاسلامى ولكن بصور مختلفة ومتباينه حسب اختلاف الطبقات والثقافات ٠

(أ) **فى المجتمع الريفى :** حيث يعيش الفلاحون على الفطرة ٠٠ ويلتزم الجميع بالقيم والاخلاق العامة ٠٠ ويراعى الجار حرمة جاره ويصون ابنة جاره كما يصون أخته ٠٠ فى هذا المجتمع تجد الاختلاط مطبقا بصورة طبيعية ومثالية ٠٠ ودون مشاكل أو تعقيدات ٠٠ فالاسرة كلها تذهب الى الحقل الفلاح وزوجته ٠٠ وابنه وابنته ٠٠ ويعملون جنبا الى جنب مع أسرة جاره أو صديقه ٠٠ وقد تتأخر الزوجة أو الابنة فى البيت لاعداد الطعام للأسرة ٠٠ فاذا جاء وقت الغذاء حملته على رأسها وخرجت فى أمان وطمأنينة الى الطريق العام ٠٠ وقد تلتقى الفلاحة الشابة فى الطريق بابن الجيران فيتبادلان التحية ٠٠ والحديث البريىء عن مشاكل الحياة وعن العمل والرزق ٠٠ وعن الصحة والمرض ٠٠ وعن مشاكل الأسرتين ٠

وقد تضطر المرأة الى الانتقال الى القرية المجاورة على دابتها ٠ وهى تحمل الغلال لتطحنها فى ماكينة الطحين ، أو لتبيع منتجات الأسرة فى السوق العام او لتشترى مايلزمها ويلزم بيتها ٠

وبنات الريف فى هذا الجو من الاختلاط الفطرى يلتزمن بالفطرة وبتعاليم الاسلام . فزيهن شرعى لايكشف سوى الوجه واليدين والقدمين .. وحديثهن فى نطاق القول المعروف الذى لاتكسر فيه ولا اغراء .. واذا تزينت فى وجهها وكفيها (مثل الكحل والحناء) فبالاسلوب المعقول الذى لايخرج عن العرف والمألوف ..

ومنذ مرحلة الطفولة تجد الأطفال صبيانا وبناتا يلعبون معا .. فى براءة .. وقد ينشأ بينهم حب عفيف .. ويستمر وينمو حتى مرحلة النضج كل ذلك فى أحضان المجتمع الذى يعرف كل صغيرة وكبيرة .. وتحت رعاية الأسرتين الملتزمتين بحكم العشرة والجوار .. وغالبا ينتهى هذا الحب بالزواج وبناء أسرة جديدة مبنية على التفاهم والوفاق .

وقد يقول قائل ان المجتمع الريفى ليس كله بهذه الصورة الوردية المشرقة .. لأن هناك انحرافات كثيرة .. يدلنا عليها مانسمع عنه من جرائم العرض والشرف .. ونقول ردا على ذلك ان هذه الانحرافات القليلة أمر لابد من وجوده تحت أى ظرف مهما كان مثاليا .. وقد كانت الانحرافات تحدث على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل .. وعلى عهد الخلفاء الراشدين .. رغم وجود الحدود الرادعة .. ومثل هذه الأمور تؤخذ بالحكم العام والغالب وليس بالحالات الشاذة والمنحرفة .

(ب) طبقة الأثرياء والمترفين فى المدينة :

والأثرياء فى عالمنا العربى نوعان .. نوع اغتنى بالطريق الشريف وبجهده وعرقه .. فكلما أعطاه الله ازداد ايمانا بالله وتمسكا بالدين والفضيلة . والنوع الثانى وهم

الأكثرية الغالبة بين اثرياء الأمة العربية ·· والذين اغتنوا بين يوم وليلة ··· وعن طريق الانحراف أو الظلم أو الفساد وهذا النوع يبتليه الله بالفجور ، والانحلال فى حياته العامة والخاصة ··

ويمثل الاختلاط فى حياته مجالسة النساء على موائد الخمر والقمار والعربدة وتعدد الزوجات والمحظيات وكثيرا مايضرب أعداء الاختلاط المثل بهذا الصنف من الناس ·· ولكننا نقول لهم ان هذا النوع الفاسق لايؤخذ حجة على الاختلاط ومساوئه ومضاره ·· لأن حياته كلها بنيت على فساد وفسوق وعلى التعدى على حدود الله فى كل جوانب حياتهم ·

وكل من هاتين الطبقتين ·· الفقيرة والمترفة كان هذا شأنها منذ مئات السنين ·· لم يتغير فيه شيء كثير الا من حيث المظهر السطحى ·

(جـ) الطبقة المتوسطة :

وتشمل المتعلمين من الموظفين والتجار وأصحاب الأعمال الحرة وتمثل هذه الطبقة العمود الفقرى لكل أمة وعماد المجتمع ·· وهى تنقسم أيضا الى فريقين ··

فريق متفتح ومتنور ·· يتطور مع تطورات المجتمع ومقتضيات الحياة العصرية · في اطار من أوامر الدين وحدود الشريعة ويمثل الاختلاط فى حياته ظاهرة صحية بناءة · فقد تكون الزوجة طبيبة أو مهندسة أو موظفة فى حكومة أو شركة ·· أو تعمل فى التجارة أو العمل الحر ·· والأسرة لها صداقات بأسر أخرى ·· يتبادلون معهم الزيارات والعلاقات الاجتماعية والثقافية والانسانية ··

وهـــذه الأسر ترســل بناتها وأولادها الى المــدارس والجامعات المشتركة ·· حيث يتعارف الشباب ·· ويتزاوجون ويبنون حياة جديدة تقوم على التعاون بين الجنسين على أعباء الحياة ·· وهذا الفريق يمثل الغالبية من الطبقة المتوسطة فى مصر وبعض البلاد العربية العريقة ·

والفــريق الثانى من المتشــددين والمعسرين ·· الذين يعتبرون الاختلاط خطيئة ورذيلة ·· ومجلبة للفساد مهما كان فى ظل الفضيلة والعرف والدين وأغلب هؤلاء من انصاف المتعلمين وذوى الثقافة المحدودة ·· فترى الرجل من هؤلاء تسـيطر عــلى حيــاته وكل تصرفاته الغــيره على النســاء بــدون مبرر ولا سبب ·· فاذا خـــرج من بيتــه أغــلق الابواب بالمفاتيح على زوجته وبناته ·واذا علم ان احداهن نظرت من نافذة اغلقها بالاخشاب والمسامير ·· ومنهم من تصــل به الهواجس الى حد المرض العقلى · فهو لا يســمح لأخيه أو عمه أو ابن عمه أن يزوره فى بيته ·· واذا زارهم اشترط عليهم أن لايجلســوا مع زوجتــه بل يجلس الرجال وحدهم والنساء وحدهن فى مكان منعزل ·

وهذا الشاب لايقبل الزواج بامرأة متعلمة ·· واذا تزوج بفتاة متعلمة يمنعها عن العمل ·· ويحبسها فى البيت ويمنع أقاربه واصــحابه من الاقتراب من بيته ·· ويكرس حياته كلها ·· وكل طاقاته فى حراسة الحريم والغيرة على النساء ولاشىء غير ذلك ··

والــواقع ان هــذا الفريق من الناس من خيرة فئــات المجتمع ·· طيبة واخلاصا وحبا للخير ولكن مشكلتهم انهم يعتقدون انهم على حق وانهم دعاة اصلاح · ·ولكنهم مضللون

··ويخلطون بين التقاليد والدين وبين الاختلاط والخلوة ·· وبين الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنه وبين العنف ومحاولة السيطرة على الآخرين والتدخل فى شئونهم ··

كانت هذه نبذة مختصرة عن صور الاختلاط فى المجتمع المصرى المعاصر ·· وهى لا تخلتف كثيرا عن المجتمعات العربية الأخرى فى سائر انحاء العالم العربى الا ان المجتمع المصرى كان اسبق هذه المجتمعات فى التطور ·· فى حين ان بعض المجتمعات العربية مازال يعيش بأكثريته فى عصر الحرملك ·· وعزلة النساء عن المجتمع ·

كيف نطبق الاختلاط

اخطار الاختلاط وكيف نتجنبها :

كل قضية اجتماعية فى هذه الحياة لها جانبان ·· خير وشر ·· وميزات وعيوب ·· ولو كانت هناك قضية لهاجانب واحد لما اصبحت قضية ولما احتاج الأمر الى دراستها وتقديم الحجج والبراهين لصالحها او ضدها ·

والعقل والمنطق فى هذه الأمور يقتضى الآتى :

ـ اذا غلب جانب الخير والميزات على جانب الشر والعيوب ·· فهذه قضية رابحة ويجب ان لانمنعها بل نشجعها ونؤيدها ·

ـ وفى نفس الوقت الذى يؤيدها فيه نضع لها الضوابط التى تحمى المجتمع من عيوبها وتقيه من مزالقها ·· وتضمن لها عناصر النجاح ·

وهذا هو ما فعله الاسلام حين نظم قضية الاختلاط ووضع لها الضوابط وعناصر النجاح كما ذكرناها .

كيف نطبق الاختلاط فى العصر الحديث :

فنلبدأ بالمسجد ودور العلم أولا :

ان أسوأ ما أحييبت به مكانة المرأة فى العالم الاسلامى يوم ان ابعدت عن المساجد وحرمت من حضور دروس الدين مع الرجال فاصبح من الأمور العجيبة والمتناقضة ان تراها فى السينما والمسارح والملاهى ولا تراها فى المساجد ودور العبادة .

يجب أن تعود المساجد لتأخذ مكانتها القديمة كما كانت مكانا لالتقاء العائلات والأسر المسلمة .. رجالا ونساء وشبانا واطفالا .. وان تزال الغرف المعزولة وشرفات الحرملك التى تحبس فيها النساء بعيدا عن اعين الناس .. فهذه كلها بدع لم تكن معروفة على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) . ولا توجد فى مسجد الرسول حتى يومنا هذا .

ويجب ان يصطحب الرجل زوجته واولاده جميعا الى المسجد ويجلسون معا .. الرجل بجوار المرأة والأسرة تماما كما نفعل اليوم فى مناسك الحج والصلوات فى الكعبة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . واذا كان المسجد مزدحما فلابأس أن تصلى النساء فى الصفوف الخلفية .

ويجب ان يحضر الجميع دروس الدين بعد الصلاة ويتناقش الرجال والنساء معا فى أمور الدين والدنيا وتشارك المرأة فى هذا الحوار الرفيع .

وما اجمل ان يتم التعارف بين الشباب المسلم والفتاة المسلمة فى أطهر بقعة وأقدس مكان مثل هذا اللقاء فى مكان كهذا سوف يضفى على نظرة كل منهما الى الأخر صبغة الاحترام والتقدير والشعور والأخوة والمسئولية نحو الجنس الأخر .. وما أعظم أن يختار المسلم شريكة حياته من التعارف فى المسجد .

وربما يقول البعض ان هذا سوف يلهى الناس عن العبادة ونقول لهؤلاء : هل كان ذلك يلهى الصحابة على عهد رسول الله عن العبادة .. وهل يلهى المسلمين اليوم عن مناسك الحج والصلاة .

ويجب أن تتم فى المسجد حفل الخطوبة وعقد القران ولا بأس أن يشمل الحفل توزيع الحلوى والشربات على الحاضرين والمصلين .

واذا كان بين الزوجين خلاف فلماذا لايكون لامام المسجد دور بناء فى فض الخلاف والعمل على التقارب بين الزوجين .

يجب أن يبدأ الاختلاط فى العالم الاسلامى فى المسجد أولا .. ويوم يبدأ فى المسجد ستكون له مكانة رفيعة فى نفوس الناس ولن تصبح هناك مشكلة اسمها الاختلاط .

والاختلاط فى المدارس والجامعات : أمر ضرورى وحيوى .. بحيث يبدأ الاختلاط من الروضة والابتدائى والثانوى ثم الجامعة .. وهناك من يرى فصل الجنسين فى فترة المراهقة التى تبدأ بعد المرحلة الاعدادية وتنتهى بدخول الجامعة وهو رأى له وزنه . وحبذا لو تسن الدولة نظاما لطالبات الجامعات بمنع التبرج . ويلزمهن بزى اسلامى محتشم .

ويجب تشجيع النوادى الاجتماعية والرياضـية التى تجمع الشباب من الجنسين وتهيىء فرص التعارف بينهما ·· مع الاشراف الدينى والتربوى لمنع المنحرفين والمسيئين ·· وتوجيه الشباب نحو المثل العليا ·· والعلاقة البريئة النظيفة ·· وايجاد وسائل التعاون بين الجنسين على عمل الخير والأمر بالمعـروف والنهى عـن المنـكر واقامـة مشروعـات البر والاحسان ·

كل هذه الفرص التى يفتقدها المجتمع الاسلامى اليوم سوف ترفع من مستوى الشباب ·· وتبنى جيلا جديدا مثاليا فى أخلاقه وصحته وسلوكه بدلا من هـذه الأجيال المريضة المعقدة الخاملة ·

رسالة هذا الكتاب

وأهـــدافه

يبدأ هذا البحث بتمهيد لابد منه ٠٠ نبين فيه الهـــدف الرئيسى من كتابته ألا وهو محاولة الاصلاح والتصدى لبعض تقاليدنا البالية التى تسىء الى ديننا وتؤخـــر مجتمعنا ٠٠ ونكشف فيه الفارق بين التقاليد الموروثة من العهد المملوكى العثمانى وتعاليم ديننا السمحاء ٠

ثم تأتى أبواب الكتاب وهى ٧ أبواب :

١ ـ **الباب الأول :** الاختلاط فى عهد الرســول صــلى الله تعريف الاختلاط ونبين الفـــارق بينه وبين الخلوة ثم نبين آداب الاسلام فى تنظيم الاختلاط ٠

٢ ـ **الباب الثانى :** الاختلاط على عهد الرسول صـــلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وكيف كانوا يطبقونه فى بيوتهم مع زوجاتهم وبناتهم ٠

٣ ـ **الباب الثالث :** الاختلاط فى التـــاريخ الاســـلامى ومعـــركة الاختلاط فى العصر الحـــديث ومتى أصبح الاختلاط مشكلة اجتماعية ومتى ظهر عصر الحرملك ٠

٤ ـ **الاختـــلاط فى علم الاجتماع :** فـــوائده الاجتمـــاعية والحضارية ومضار مجتمع العزلة والحرملك وآثاره السيئة على الأخلاق والعقل والسلوك ٠

٥ ــ من أقوال علماء المسلمين فى الاختلاط ٠

٦ ــ كيف نطبق الاختـلاط ونتقى محـاذيره فى مجتمعنا المعاصر ٠

من هذه الأبواب يتبين لنا أننا نؤيد الاختلاط بشرط أن يكون تحت مظلة الاسلام وبالآداب التى وضعها ٠٠ واننا لاندعو الى تقليد أوربا ومايحدث فيها من اباحية وفسـاد ولا نقارن أنفسنا بهم ٠٠ فلهم مجتمعهم وتقاليدهم ولنـا مجتمعنا وديننا ٠

واذا كان مجتمعنا الاسلامى اليوم قد أصيب بنكبةالعرى والتفسخ والانحلال الأخلاقى ٠٠ فان محاربة هذا الفسـاد لاتأتى عن طريق التطرف فى أمور الدين والتمادى فى المنع والقيود ٠٠ فان هذا التطرف له دائما نتيجة عكسـية وهى يأس المعتدلين من الناس من الاصلاح عن طريق الدين واظهار الدين بأنه غير عملى وغير قادر على الاصلاح الاجتماعى

فالدين قواعد معروفة ٠ وأصول مقدسة ٠٠ وأى مغالاة فيها سواء بالافراط أو التفريط اساءة للدين وتحريف له مهما كانت النوايا من وراء هذه المغالاة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول «هلك المتنطعون» ٠

ان مانطالب به فى هذا الكتاب هو العـودة بالاسـلام والمجتمع الاسلامى الى عصره المشرق على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين حيث كانت المرأة المسلمة شريكة للرجل فى كل نشاطات الحياة الاجتماعية وفى الجهاد من أجل انشاء مجتمع اسلامى ناهض ومتطور ٠

المراجع :

(أ) مراجع عامة

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ الأحاديث النبوية الشريفة
البخارى ـ مسلم ـ أبو داود ـ الترمذى ـ النسائى ـ ابن ماجه ـ أحمد بن حنبل
٣ ـ الفقه على المذاهب الأربعة ـ طبعة دار الشعب
٤ ـ معجم الفقه الحنبلى : وزارة الأوقاف ـ الكويت
٥ ـ فقه السنة ـ تأليف السيد سابق ـ دار الكتاب العربى طبعة سنة ١٩٥٤ .
٦ ـ الحلال والحرام فى الاسلام : يوسف القرضاوى ـ المكتب الاسلامى سنة ١٩٧٢ .

ب) مراجع تاريخية : « المرأة فى التاريخ الاسلامى » .

١ ـ الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ج ٨ ـ دار التحرير للطبع والنشر
٢ ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة ـ ابن الاثير ج ٧ ـ دار الشعب
٣ ـ حياة الصحابة ـ محمد يوسف الكاندهلوى ـ دار القلم دمشق سنة ١٩٦٩ م .
٤ ـ البداية والنهاية لابن كثير .. مكتبة المعارف ـ بيروت ١٩٧٤ م .
٥ ـ السيرة النبوية « لابن هشام »
٦ ـ فتوح « الشام ومصر » للواقدى .

(ج) مراجع حديثة : آراء وأفكار حول مكانة المرأة فى الاسلام

١ ـ قاسم أمين : تأليف الدكتور ماهر حسن فهمى : سلسلة اعلام العرب ٢٠ .

٢ ـ تحرير المرءه : قاسم امين : المركز العربى للبحث والنشر ٠
٣ ـ المرأة الجديدة : قاسم أمين ، المركز العربى للبحث والنشر ٠
٤ ـ المرأة العربية فى ظلال الاسلام عبد الله عفيفى دار الكتاب العــربى ٠
٥ ـ المرأة فى الاسلام الدكتور على عبد الواحد وافى مكتبة عريب
٦ ـ « من هنا نبدأ » خالد محمد خالد مؤسسة الخانكى القاهرة ١٩٥٨ ٠
٧ ـ شخصيات اسلامية معاصرة « ابراهيم البعثى » دار الشعب
٨ ـ المرأة فى التصور الاسلامى « عبد المتعال محمد الجبرى » مكتبة وهبه القاهرة ٠
٩ ـ خطبة النساء فى الشريعة الاسلامية : د٠ عبد الناصر العطار مطبعة السعادة سنة ١٩٧٦ ٠
١٠ـ الاسلام والمرأة المعاصرة : البهى الخولى ٠ دار القلم ٠ الكويت سنة ١٩٨٤ ٠
١١ـ حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة ناصر الدين الالبانى ، المكتب الاسلامى ٠
١٢ـ طبيعة المرأة فى الكتاب والسنة د٠ عبد المنعم سيد حسن مكتبة النهضة ٠
١٣ـ الاسلام والمرأة فى رأى الامام محمد عبده : الدكتور محمــد عمارة ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٠
١٤ـ الزواج عند العرب والمسلمين سلسلة عالم المعرفة ٠
١٥ـ المرأة فى القرآن « عباس محمود العقاد » دار الكتاب العربى بيروت ، الطبعة الثالثة ٠
١٦ـ الاسلام وحقوق الانسان : د٠ محمد عمارة ٠ عالم المعرفة سنة ١٩٨٥ ٠
١٧ـ تيارات الفكر الاسلامى ، د٠ محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣ ٠
١٨ـ الاســلام فى حــل مشاكل المجتمعات الاســلامية المعاصرة دار الفكر سنة ١٩٧٣ ٠

١٩ـ الفكر الاسلامى والتطور « محمد فتحى عثمان ـ الدار الكويتية سنة ١٩٦٩ ·

٢٠ـ الحياة الاجتماعية فى التفكير الاسلامى · د· أحمد شلبى مكتبة النهضة سنة ١٩٨١ ·

٢١ـ رد مفتريات على الاسلام · د· عبد الجليل شلبى · دار العلم سنة ١٩٨٢ ·

٢١ـ الاسلام والحياة الجنسية · د· أحمد شوقى الفنجرى · دار عالم الكتب سنة ١٩٨٦ ·

(د) مقالات وابحاث حول المراة المسلمة

١ ـ مقال النبى قدوة المسلمين « الشيخ أحمد حسن الباقورى » مجلة العربى عدد مايو سنة ١٩٧٢ ·

٢ ـ المراة فى المجتمع إسلامى « الشيخ زكريا البرى » مجلة العربى عدد ١٤٢ ـ ١٤٤ ـ ١٤٦ ٣ مقالات ·

٣ ـ المرأة فى الاسلام « دكتور محمد عمارة » العربى عدد مايو سنة ١٩٨٦ ·

٤ ـ المرأة المسلمة فى ميادين القتال « دكتور أحمد شوقى الفنجرى» العربى . سنة ١٩٧١ ·

راجع حول قضايا المرأة العربية ومكانتها وجهادها :

هـ) ١ ـ مقدمة لتاريخ التعليم فى مصر الحديثة

٢ ـ لمحة عامة الى مصر : تاليف كلوت بك ترجمة محمد مسعود

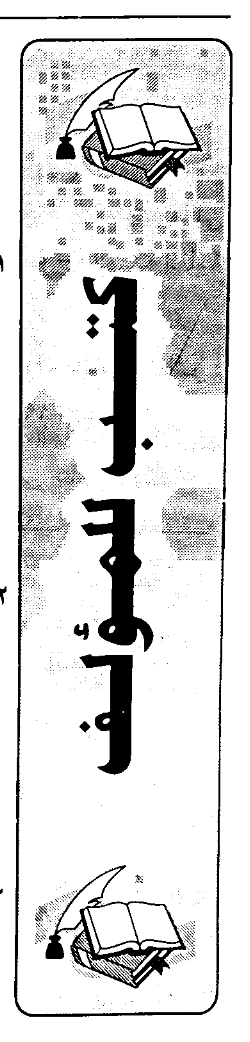
٣ ـ « المرشد الأمين للبنات والبنين » رفاعة رافع الطهطاوى

٤ ـ كتاب « قصة حياتى » لطفى السيد

٥ ـ تطور النهضة النسائية د· درية شفيق

٦ ـ الحركة النسائية الحديثة : دكتوره اجلال خليفة

٧ ـ معركة الاختلاط فى الكويت : د· محمد جواد رضا



د. أحمد شوقى الفنجرى

١ - « إسرائيل كما عرفتها » يشرح خبرة المؤلف حول إسرائيل من خلال عمله كطبيب فى قطاع غزة ثم احتلال القطاع فى حرب سنة ١٩٥٦ حيث أُخذ أسير حرب إلى معتقل عتليت شمالى عكا ، الناشر : دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع . ت : ٣٤٧٣٦٩١ .

٢ - « كيف نحكم بالإسلام فى دولة عصرية » يكشف المفاهيم الخاطئة والممارسات المنحرفة التى تطبق بها بعض الدول الحكم بالإسلام ويقدم الفهم الصحيح للحكم الإسلامى - « الهيئة العامة للكتاب » .

٣ - « الطب الوقائى فى الإسلام » يبين تعاليم الإسلام للوقاية من الأمراض وإقامة مجتمع صحى منيع ضد الأوبئة

ويشرح تعاليم الإسلام الطبية فى ضوء التكنولوچيا المعاصرة والطب الحديث - «الهيئة العامة للكتاب».

٤ - « **الاختلاط .. فى الدين وفى التاريخ وفى علم الاجتماع** » يبين مكانة المرأة المسلمة فى المجتمع ودورها فى العمل إلى جانب الرجل لبناء أمة قوية سليمة - « الهيئة العامة للكتاب » .

٥ - « **ثقافة الجنس .. فى ضوء الطب والديانات** » الناشر : دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع . ت : ٣٤٧٣٦٩١

٦ - « **النقاب .. فى التاريخ وفى الدين وفى علم الاجتماع** » يبين النصوص من القرآن والسنة وآراء كبار علماء الفقه والشريعة على أن النقاب لم يفرضه الإسلام بل هو مكروه شرعاً - « الهيئة العامة للكتاب » ، « سلسلة قضايا إسلامية » .

٧ - « **العلوم الإسلامية** » ٣ أجزاء بالصور الملونة - مؤسسة الكويت للتقدم العلمى . الكويت . إدارة الثقافة العلمية . شارع أحمد الجابر - ص.ب ٢٥٢٦٣ الرمز البريدى ١٣١١٣ الصفاة - الكويت .

٨ - « **التطرف والإرهاب** » يشرح الفكر الإرهابى وانحرافاته وخطره على الإسلام ومصادره الفكرية والمادية وعلاقة إسرائيل به . « الهيئة العامة للكتاب ، سلسلة المواجهة » .

٩ - « **الإسلام والديموقراطية** » - الهيئة العامة للكتاب - « تحت الطبع » .

١٠ - « **الختان** » « **فى الطب وفى الدين وفى القانون** » - دار الأمين للنشر والتوزيع . ت : ٣٤٧٣٦٩١ .

١١ - « **الإعجاز الطبى فى القرآن والسنة مقارناً بالتوراة والانجيل** » - تحت الطبع .



سلسلة التمثيليات الإسلامية :

مجموعة من التمثيليات التى تصلح للمسرح أو التليفزيون أو السينما . تجمع بين الدقة والأمانة التاريخية إلى جانب الأسلوب الدرامى .

١ - «**خولة بنت الأزور**» « فارسة الإسلام » .

٢ - « **سراقة بن مالك** » « الصحابى المتوج » .

٣- « **رفيدة** » « الممرضة الأولى فى الإسلام » . الحائزة على جائزة وزارة الصحة والهلال الأحمر الكويتى .

٤ - « **شروق الإسلام فى مصر** » عن فترة الحياة فى مصر وقت دخول الإسلام بقيادة عمرو ابن العاص والسر فى إقبال المصريين على الإسلام .

٥ - « عمر بن عبد العزيز» « خامس الراشدين » . كيف أعاد إلى الحكم بالإسلام وجهه الصحيح .

٦ « السابقون إلى الإسلام » .

- تطلب هـــذه السلسلة من دار القــلم للنشر والتوزيع ، القــاهرة ش القصر العينى رقم ٢٦ ت : ٣٥٠١١٠٥ .

٧ - « سلمان الفارسى » « الباحث عن الحقيقة » - دار عالم الكتب ٢٨ ش عبد الخــالق ثروت - ت : ٢٩٢٦٤٠١ .

★ ★ ★

أبحاث تجمع بين الطب والدين فى مؤتمرات الطب الإسلامى فى : الكويت - القاهرة ، جامعة الدول العربية - اسطانبول بتركيا - دالاس بأمريكا - أونتاريو بكندا . وقد نشرت فى مجلة الطب الإسلامى ومجلة الوعى الإسلامى ومجلة العربى ومجلة الفيصل .

★ ★ ★

أعمــال تليفزيونية وإذاعية :

١ - مسلسل « صور من الحضارة الإسلامية » ٣٠ حلقة تليفزيونية ، أذيع من تليفزيون القاهرة فى شهر رمضان .

٢ - مسلسل « خولة بنت الأزور» تليفزيون الكويت .

٣ - مسلسل « سراقة بن مالك » تليفزيون الكويت .

٤ – المسلسل الإذاعي ، **عمر بن عبد العزيز**، ٣٠ حلقة إذاعة الكويت .

٥ – المسلسل الإذاعي ، **الأسرة المسلمة** ، ٣٠ حلقة إذاعة الكويت .

★ ★ ★

أعمال فنية :

١ – **النتيجة العلمية المصورة** : الناشر مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ٣ أعداد : الطب الإسلامي – العمارة الإسلامية – علم الفلك . ت ٢٤١٣٣٩٢ (٠٠٩٦٥) .

٢ – **مجموعة المعارض الفنية** : الكويت – لندن .

★ ★ ★

فهرس

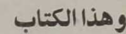
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/١٨٣٢

I.S.B.N- 977 - 01 - 5065 - 7

عن المؤلف:

الدكتور أحمد شوقى الفنجرى كاتب ومفكر إسلامى له العديد من الكتب والأبحاث والدراسات حول قضايا الأسرة المسلمة.... وقد تميزت كتاباته فى الإسلاميات بالدقة العلمية.. والتركيز الوافى وعمق البحث.. ويتناول كل قضية من زواياها المختلفة.. الدينية والإجتماعية والتاريخية وبذلك يجمع بين تعاليم الدين الحنيف وبين مقتضيات مجتمع القرن العشرين.



دراسة علمية جادة وهادفة لقضية من أكثر قضايا مجتمعنا الإسلامى أهمية وحساسية. إنها قضية مكان المرأة المسلمة فى المجتمع.. ومجالات عملها وانتاجها وحدودها والتزاماتها. وحقوقها وواجباتها. كشريكة للرجل فى بناء المجتمع الإسلامى المثالى الناهض الملتزم.

وقد شملت الدراسة قضية الاختلاط من جميع أبعادها الدينية والإجتماعية والتاريخية والأخلاقية.

وهى دعوة شجاعة إلى الإصلاح الاجتماعى والدينى.. مبنية على تعاليم الدين والعلم... والقيم الحضارية.. لتحطيم بقايا عصر (الحرملك) الذى ورثناه عن الحكم المملوكى التركى... خلال حقبة الظلام والجهل والعودة بالمرأة المسلمة إلى دورها المشرق فى عصر النبوة والخلافة الرشيدة.. حيث كانت تقف إلى جوار الرجل فى شتى ميادين الحياة:

تصميم الغلاف: صبرى عبد الواحد

